مجلة شهرية

Issue No: 62 :عدد
October 2012 تشرين أول

نور المسيح
ΦΩΣ ΧΡΙΣΤΟΥ

جمعية نور المسيح ، رقم: ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠
Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

دير القديس يوحنا اللاهوتي العامر للروم الأرثوذكس . في جزيرة پاتموس في اليونان .

منظر داخل الدير العامر

المغارة التي تمت فيها الرؤيا

محتويات العدد

2 ما لا يرى

3 كلمة غبطة البطريرك
كيريوس كيريوس ثيوفيلس الثالث

4 رقاد القديس
يوحنا اللاهوتي

5 حكم وأمثال
في الشعر

6 التجلّي
المتروبوليت إيروثيوس فلاخوس

8 الأرثوذكسيّة
قانون إيمان لكل العصور

9 ما هي الأبدية

10 العظات ١٨ لطالبي العماد
القديس كيرلّس الأورشليمي

12 قصة المسيحيّة
في البلاد العربيّة

14 العدالة الإجتماعية
نظرة يابانيّة

16 القديسة تقلا

18 والدة الإله - ثيوطوكوس

19 العهد القديم (٤٦)

20 حملان وسط الذئاب
القديس يوحنا الذهبيّ الفم

22 أين نجد السعادة

23 نشاط للملائكة

توزع هذه المجلة مجاناً

جمعية نور المسيح : كفركنا - الشارع الرئيسي
(الحي الجنوبي) ص. ب. ٦١٩ تلفاكس ٠٤/٦٥١٧٥٩١

تقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال - الناصرة
حساب رقم : 12-726-111122

e-mail: light_christ@yahoo.com

ترتيب وتحضير : هشام ميخائيل خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

ما لا يرى

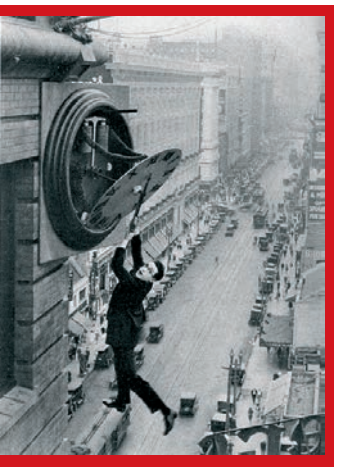

في مدينة (**لوس أنجيلوس**) اجتمع جمهورٌ كبير من المعجبين حول رجل كانوا يسمونه (**الذبابة البشريّة**). فقد كان الرجل يستطيع أن يتعلّق بالجدران ويتنقّل صاعداً بمهارة فائقة ، معتمداً على أظافر يديه وقدميه ، التي تمسك بالنتوءات الدقيقة بالجدران.

وبدأ الرجل يتسلّق واجهة أحد المباني المرتفعة، فمدّ يده وبدأ يتحرّك صاعداً في حرص شديد ، فهو يمسك أحياناً بأفريز شباك أو بجزءٍ بارز في الجدار ، أو بلافتة ، أو بسلك كهربائي. وهكذا استطاع أن يصعد متغلّباً على صعوباتٍ هائلة.

واقترب أخيراً من أعلى الجدار ، وأخذ يتحسّس فوق رأسه بحثاً عن شيء يتحمّل ثقَل جسده ليرتقي عليه إلى القمّة. وأخيراً ظهر له كما لو كان أمامه شيئاً من حجر داكن ، أو طوبة باهتة اللون بارزة من الجدار الأملس ، فمدّ يده ليمسك بها ، ولكن يده قَصُرَت عن الوصول إليها.

فاستجمع قواه ، وفي حركة ماهرة قفز قفزة سريعة ليمُسك بها. ولكنه سقط أمام الجمهور الكبير ، وفي يده خيوط العنكبوت. فلم يكن ما ظنّه حجراً ثابتاً سوى خيوط واهية.

إنّ هناك كثيرون يتعلّقون بأشياء واهية يظنّونها أغراضاً ثابتة ، وكثيرون يعتقدون أن هذه الدنيا مكوّنة من دعامات ثابتة يمكن الاستناد إليها والصعود فوقها والبناء عليها.ولكنهم يكتشفون بعد فوات الأوان أن ما ظنّوه قوائم راسخة ليس سوى أكوام قشّ لا تحملهم ولا تحتملهم.

إنّ رجاء البشر في معطيات الحياة المادية رجاء كاذب ، واتكالهم عليها إتكال باطل . وما أكثر مَن يتحطّمون حين يسقطون من فوق صروحٍ بنوها من أوهامهم الكاذبة.

إنّ المتسلقين إلى المقاعد العليا أو المناصب القياديّة ، والذين يجعلون منها هدفاً لحياتهم لن تُشبع حياتهم حتى لو تحقّقت أهدافهم الماديّة.

عزيزي

لا تتمسّك بأمور الدنيا الفانية بل تشبّث بأمور السماء الباقية. إنّ الأشياء التي في العالم والتي تتعلّق بها هي مجرّد خيوط واهية وليست دعامات ثابتة.

كثيرون ممن إنخدعوا من معطيات الحياة لم يفيقوا إلا عند موتهم عندما وجدوا أياديهم فارغة مما اقتنوا. إن معطيات الدنيا في ظاهرها ذات منظر بهيج تجذب الأنظار «بهجة للعيون..و شهيّة للنظر» (تك٣:٦). ولكنها من الداخل مملوءة أباطيل.

لابدّ لنا ونحن نسلك في مسيرة الحياة أن لا ننظر إلى الأمور المرئيّة. بل ننشغل بالأمور غير المرئية .. بالأمور السماويّة.«ونحن غير ناظرين إلى الأشياء التي تُرى بل إلى التي لا تُرى. لأنّ التي تُرى وقتيّة أما التي لا تُرى فأبديّة» (٢كو٤:١٨).

لقد أقام الربّ يسوع الموتى الذين سوف يموتون من جديد ليشدّ انتباه الناس وعقولهم إلى القيامة. ولقد أعاد البصر للعميان ، وردّ إليهم نور عيونهم الذي سيطفئه الموت يوماً من الأيام لكي يشدّ أنظار الناس إلى الأشياء التي لا تُرى وإلى السماء. إنّ الأشياء التي تراها في الشوارع وفي واجهة المحلات وتبهر نظرك. إذا ارتفعت بطائرة في السماء فسوف تصغُر هذه الأشياء في نظرك.

قال المغبوط أغسطينوس: ﴿**تذكّر أنّك في المسيح تمتلك كلّ شيء**﴾. هذه الكلمات قالها المغبوط أغسطينوس منذ نحو ١٦ قرناً من الزمان .. لكننا نحتاج إلى سماعها في كل وقت. ففي المسيح حبيبنا نتملك كل شيء، هو لنا كل شيء.

وهذه الكلمات دونتها يد القديس أمبروسيوس في القرن الرابع: **(المسيح هو لنا في كلّ شيء .. إن شئت أن تشفى من جراحاتك ، فالمسيح هو الطبيب. وإن كنت مثقلاً بخطاياك فهو .. البرّ)**.

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث

بمناسبة تذكار الحبل بالقديس العظيم يوحنا المعمدان

«الحقّ أقول لكم: لم يَقُم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان، ولكن الأصغر في ملكوت السماوات أعظم منه» (متى ١١:١١).

أيها الأخوة الأحباء بالمسيح
أيها المسيحيّون الحسني العبادة

تحتفل كنيستنا المقدّسة بتذكار الحبل بالقديس المجيد والسابق الأوّل لمجيء المسيح يوحنا المعمدان الذي يعتبر من شخصيات الكتاب المقدس الهامة والمركزيّة.

إنّ الإنجيليّ البشير لوقا يصف بدقة مرحلة ما قبل الحبل بالقديس يوحنا المعمدان فيقول: «ولما دخل زكريا الكاهن إلى الهيكل ليبخر ... ظهر له ملاك الربّ قائلاً له: لا تخَف يا زكريا لأن طلبتك قد سُمِعَت، وإمرأتك أليصابات ستلد لكَ إبناً وتسميه يوحنا ... ويكونَ لكَ فرحٌ وابتهاج، وكثيرون سيفرحون بولادته، لأنّه يكون عظيماً أمام الربّ ... ومن بطن أمّه يمتلىء من الروح القدس» (لوقا ١:٩-١٥).

نعم أيها الأخوة الأحباء

ظهر يوحنا عظيماً أمام الرب، وفرحٌ وابتهاج كان لوالديه ولأناس كثيرين، وهذا لأنّ مرنّم الكنيسة أوضح بأجلى بيان عظمة ومقدار هذا الميلاد، فيقول:« لقد أتيت وافداً من الأمخاض العقريَّة ملاكاً أيها المعمدان وسكنت البرّيَّة منذ الأقمطة. فظهرت خاتمة الأنبياء كلّهم. فإنَّ الذي عاينوهُ هم على أنحاء شتَّى. وكرزوا به على سبيل الرمز. استحققت أنت ان تعمّدهُ في الأردنّ. وسمعت صوت الآب يشهد ببنوَّته لهُ. ورأيت الروح بهيئة حمامة يجتذب الصوت إلى المتعمّد، فلا تبرح يا اعظم جميع الأنبياء شأناً تتشفّع فينا نحن المقيمين تذكارك عن إيمان». (الذكصا على اللحن السادس – صلاة الغروب).

من كلام المرنّم نستشف أهميّة كبيرة جداً، فالحبل بالقديس يوحنا المعمدان هو بداءة لظهور الكرازة لملكوت السموات. «لأنّه من أيام يوحنا المعمدان لغاية الآن ملكوت السموات يُغتصب والغاصبون يختطفونه» (متى ١١:١٢).

جاء يوحنا المعمدان كسابق للسيّد المسيح، فإنفتح طريق الملكوت، ليستطيع كل مؤمن أن يسرقه مختطفاً إيّاه بالجهاد الحيّ. حقّاً إن الملكوت هو عطيّة اللّه المجانية، لكنها لا تُقَدَّم للمتهاونين المتراخين، إنما للمجاهدين كمن يسرقها.

يقول **القديس ايرونيمُس**: «بدون إغتصاب لا تنال ملكوت السموات. فإن لم تقرع بلجاجة لن تتقبل الخبز السرائري! ألا يحسب إغتصاباً حقيقياً إذ يرغب الجسد (الإنسان)أن يصير كاللّه، ويصعد إلى الموضع الذي منه سقطت الملائكة، ليدين ملائكة ؟!».

يتحدث **القديس يوحنا السلّمي** عن ضرورة الجهاد والتغصب، قائلاً: «كل الذين يبدأون النضال الصالح الذي هو صعب وضيّق لكن في نفس الوقت سهل، يليق بهم أن يدركوا أنه يجب عليهم أن يقفزوا في النار إن كانوا يودّون أن تمكث النار السماوية فيهم فعلاً. ليفحص كل إنسان نفسه، ويأكل خبزه بأعشاب مرّة ويشرب الكأس بدموع لئلا تؤدي خدمته إلى دينونة الذّات». كما يقول: «لنركض في طريقنا بحماس كأناس مدعوين من إلهنا وملكنا، لئلا بسبب قصر عمرنا نوجد في يوم موتنا بلا ثمر ونهلك جوعاً».

إنّ كرازة القديس يوحنا المعمدان هي نافعة وجيّدة في أيامنا هذه أيضاً لأن قوات الظلمة تحارب نفوس المؤمنين ساعية لتقويض مملكة المسيح وبناء مملكتها مملكة الظلمة ويتحدث **القديس يوحنا من كرونستادت** عن الجهاد والتغصب قائلاً: «مَن الذي جَعَل طريق المختارين ضيّقاً ؟ العالم يضغط على المختارين، والشيطان يضغط عليهم وكذلك الجسد، هذا هو ما جعل طريقنا لملكوت السموات ضيّقاً». كما يقول: «إن كنا لا نجاهد يومياً لنغلب الشهوات التي تهاجمنا ونقتني ملكوت اللّه في قلوبنا فالشهوات تمتلكنا بطغيانٍ شديد وعنف وتسلب نفوسنا كاللصوص».

لذلك أيها الأخوة الأحباء، فإنّ أهمية القديس يوحنا المعمدان أنّه قدّم وهيـّىء بكرازته لنا ملكوت النّور، ملكوت الحقيقة، ملكوت العدل، ملكوت المحبة محبة المسيح، ملكوت السلام، وملكوت المسيح للبشرية جمعاء، وهكذا تمّم المسيح بكلامه أن المعمدان هو أعظم مواليد النساء، فتشفّع أيها السابق الأول لدى المسيح، في خلاص نفوسنا. آمين

وكل عام وأنتم بخير

الداعي بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

رقاد القديس يوحنا اللاهوتي

إن **القديس يوحنا اللاهوتي** كان صياداً فلسطينياً متواضعاً يكسب رزقه من الشباك التي كان يرميها في بحيرة جنيسارات (المعروفة ايضا ببحر الجليل) . هنا ، على شواطيء هذا البحر العاصف ، اهتدى يوحنا مع أخيه يعقوب ، الى إنجيل يسوع المسيح ، وبعد ان استمع للفادي القدوس يتكلم عن محبة الله ومحبة القريب ، ترك اباه وصار واحدا من أحب الرسل الى يسوع ، وعمل كي يهدي كثيرين (الى المسيحية) ، ويصنع العجائب . . . . الى ان استقر اخيرا ليدوّن الأنجيل الرابع والأخير في العهد الجديد مستنيراً من الروح القدس .

تبع يوحنا واخوه يعقوب يسوع في كل فلسطين قبل صلبه ، حيث كان يبشر بالكلمة ويشفي المرضى ، وفي احدى المناسبات الدراماتيكية الخاصة ، شاهد يوحنا بذهول ابن الله يقيم ابنة يايروس التي ماتت امام والدها الحزين ، كذلك فقد كان شاهداً على تجلي المسيح الرهيب على طور ثابور.

هو ابن زبدي وصالومي (ابنة القديس يوسف الخطيب) ، كان القديس يوحنا اصغر الرسل ، واحبهم الى قلب الرب ، وتلاحظ هذه القرابة في ان يوحنا جلس عن يمين السيّد في العشاء الاخير حيث راح يتوسّل الى السيّد كي يخبره من هو التلميذ الذي سيخونه ، وبعد ساعات فان هذا التلميذ الوفيّ (واحياناً يدعى رسول المحبة) تبع المعلم في مسيرة الآلام من بستان الجثسمانية الى محكمة اورشليم حيث الكهنة اليهود ، حنانيا وقيافا ، وحيث سيكون التحقيق مع يسوع بلا شفقة،ومن ثم يصار إلى الحكم عليه بالموت .

بعد اصدار الحكم ، سار القديس يوحنا على خُطى السيّد في درب الآلام حتى الصليب ، ولما كان المسيح على الصليب ، نظر الى أمّه واعلمها ان يوحنا سيكون من يحميها سيما عندما نطق بهذه الكلمات التي لا تنتسى : « يا امرأة هوذا ابنك !» (يوحنا١٩:٢٦)، أمّا الى يوحنا ، فنظر وقال :« ها هي امك » (يوحنا١٩:٢٧) ، ومن تلك اللحظة بات مفهوما ان الدائمة البتولية مريم والدة الاله اصبحت في عهدة هذا الخادم الوفيّ .

وبعد رقاد مريم البتول ببضعة سنوات ، انطلق القديس يوحنا يكرز بالانجيل في افسس (مدينة يونانية في آسية الصغرى ، وهي الآن جزء من تركيا الحديثة) ، حيث اصبح في النهاية أسقفاً هناك ، كذلك فقد بشر في مدن اخرى من آسية الصغرى يصحبه تلميذٌ وفيٌّ يعرف باسم بروخوروس ، دامت الصداقة بين الاثنين طويلا ، وقد اتسمت بأعجوبة خارقة حيث ان السفينة التي كانا فيها انكسرت ، حاول بروخورس ان ينجو بنفسه ، فسبح الى الشاطيء ، الا انه بكى بمرارة عندما لم يظهر يوحنا ، يبدو في الظاهر ان التلميذ العظيم غرق في البحر ، ولكن بعد اربعة عشر يوما ، بينما كان بروخوروس يبحر باتجاه افسس انذهل لما رأى يوحنا وهو يخرج من المياه دون ان يصاب بأذى ، تابع الصديقان رحلتهما ، وامضيا سنوات عديدة معا يبشران بالكلمة ويشفيان المرضى في الأرض المقدسة .الا ان اتعابهما وهمومهما كانت في بداياتها فقط ، فمع وصول **نيرون (٥٤-٦٨) امبراطوراً** على روما ، بدأت حملة اضطهادات عنيفة ضد المسيحيين ، القيَ القبض على الرسول يوحنا ونُقلَ الى روما للمحاكمة بتهمة التحريض ، وبسبب حبه للكرازة بالانجيل ، حُكمَ عليه بالموت ، فدُفعَ اليه كوب كان قد دُسَّ فيه السُّم ، فشربه كلَه دون ان يُصاب بأذى ، الأمر الذي اذهلَ جلاّديه. لم تنثن عزيمته ، فاستشاط الجلاد غضباً ، فقام وطرح هذا المسيحي العنيد في قدر كبير كان فيه زيت يغلي ، الا ان العناية الالهية تدخلت ، فخرجَ يوحنا من القدر الساخن سليما معافى ، ولما عجز الجلادون عن اهلاكه ، نقلوه في سفينة الى منفاه الأخير في جزيرة يونانية بعيدة تدعى باطموس .ما ان لامست قدماه ارض الجزيرة ، حتى راح هذا الرسول المسيحي ينادي بالأنجيل لكل من يرغب ان يسمع ، وفي النهاية امضى سنوات كان فيها يطوف ارجاء الجزيرة يخرج الشياطين ، ويشفي المرضى ، ويعيد كثيرين من السكان الى المسيحية ، واثناء رحلاته المثمرة هذه ، **واجه ساحر باطموس الشهير كينوبس** وهزمه ، وكان هذا قد بذل كل الجهد للقضاء على يوحنا ، لكن مساعيه ذهبت سدى .

وبعد ان هزم كينوبس ، عاد يوحنا وبروخوروس الى جرف صخري في الجبل حيث بدأ الاثنان صوما فرضاه على نفسيهما ، ولما كان يوحنا يصلي بثبات ، ضربت هزة ارضية الجزيرة فاهتزت الارض ، محدثة دوياً هائلا ، ففزع بروخوروس وسقط الى الارض ، الا ان يوحنا سرعان ما انهضه وطلب اليه ان يدوّن رسالة وصلت مع العاصفة. عمل بروخوروس كما طلب منه ، ودوّن ما يلي : « انا الالف والياء ، البداية والنهاية يقول الرب ، انا من يكون وكان وسوف يأتي . . . .» (رؤ١:٨) . بهذه الكلمات المدوّنة **سنة ٦٧م** ، وضع القديس يوحنا افتتاحية **سفر الرؤيا** ، وبعد سنوات ، وعندما كان قد اخلي سبيله ، وعاد الى واجباته اسقفا على افسس ، عمل كي ينهي هذا السفر الميستيكي ، وكان له من العمر **٩٥سنة**. عاش القديس يوحنا ما يربو على المئة عام ، وقبل موته اوصى ان يدفن في قبر على شكل صليب ، فكان له ما اراد ، وصار مكان القبر بقعة شهيرة عليها صار كثيرون من غير

المؤمنين ، مسيحيين ، الى ذلك ، فان كثيرين من زوار الضريح في الذكرى السنوية الاولى لرقاده كل عام ، كانوا ينالون الشفاء حتى من مجرد لمس التراب المقدس الذي كان يحيط بالضريح .

عُرِفَ يوحنا باسم « الرسول المحبوب» وقد سماه يسوع « ابن الرعد»، كان هذا الرجل الخارق ، الوحيد من الرسل الذي مات ميتة طبيعية ، الا ان سنواته الاخيرة كانت تطفح بالسلام واللطف تجاه الآخرين ، احد تقاليد الكنيسة الجميلة يحتفظ بجوهر الطبيعة المحبة التي للقديس يوحنا ، وبحسب هذه الاسطورة ، خارت قوى القديس مع نهاية حياته ، فكان يُحمل الى الكنيسة المحلية لأقامة الصلوات ، وكان على الدوام يردد ويقول :

«يا اولادي الصغار ، احبوا بعضكم بعضا». وبعد أن كان كثيرون من ابناء الرعية يسمعون هذه النصيحة ، كانوا يسألون القديس يوحنا : يا سيّد ، لماذا تردّد هذا الكلام على الدوام ؟ « فكان يجيب بابتسامة وديعة :« انها وصية السيّد ، واذا فعلتم هذا فقط ، يكفي».

القديس يوحنا اللاهوتي - دير القديس هيراكليذيوس (قبرص)

سيرة القديس يوحنا هي مثال للسبيل الذي ينبغي ان يسلكه المؤمن الذي يتبع الرب ، كي يستخدم مواهبه الطبيعية من اجل المجد الأعظم الذي لله ، كان القديس يوحنا متحدثاً موهوباً وماهراً ، وكان وَقْع كلماته عظيماً في سبيل نشر الكرازة ، فصار واحداً من اعظم المبشرين بين المسيحيين الأوائل ، انه كاتب موهوب وشاعري ، وقد استخدم قدراته كتابةً وذلك كي يصوغ واحداً من اعظم وثائق البشرية ، اعني به الأنجيل الرابع .

ظل القديس يوحنا ، ثابتاً وراسخاً على الأيمان حتى النهاية ، وظل ملهماً لجميع التائقين ان ينشروا انجيل يسوع المسيح في كل العالم ، انجيل يوحنا يظهر لنا يسوع ، الها كاملا وانسانا كاملا ، ويوحنا كان انسانا احب يسوع جدا ، الا انه كان انسانا ايضا بقواه وضعفاته التي نشارك فيها جميعنا ، ولعله لهذا السبب يعتبر احيانا المفضّل بين الانجيليين . ■

ابوليتيكيون باللحن الثاني :

« ايها الرسول المتكلم باللاهوت ، حبيب المسيح الاله ، اسرع وانقذ شعبا عادم الحجة ، لأن الذي تنازل ان تتكيء على صدره ، يقبلك متوسلاً ، فاليه ابتهل ان يبدد سحابة الامم المعاندة ، طالبا لنا السلامة والرحمة العظمى » .

قنداق باللحن الثاني :

« عظائمك ايها البتول من يصفها ، لأنك تفيض عجائب ، وتنبع اشفية من اجل نفوسنا ، بما انك متكلم باللاهوت وصفّي المسيح ».

أمثال وَحِكم في الشعر

لقاء الناس بالناس ليس يُفيدُ شيئاً
سوى الهذيان من قيلٍ وقال
فأقلل من لقاء النّاس إلاّ
لأخذ العلْمِ أو إصلاح حالِ

إذا كنتَ في قومٍ فصاحِبْ خيارَهُم
ولا تصحب الأردى فتردى مع الرَدي
عن المرء لا تسأل وسَلْ عن قرينه
فكلّ قرينٍ بالمُقارِنِ يقتدي

إحذر معاشرة الدنيء فإنّها
تُعدي كما يعدي الصحيحَ الأجربُ

إذا رماكَ خساس النّاس عن سَفَه
فَوَلِّ ظَهْرَكَ ما قالوا ولا تُجِبِ
فَاللّيثُ مُدَّخِرٌ للشّبْلِ مَخْلَبَهُ
ويكتفي لذباب الغاب بالذَّنَبِ

وَقَدْ تُسْمِعُ اللّيْثَ الجحاشُ نهيقَها
وتُعْلي إلى البَدْرِ النُّباحَ كِلابُ
إذا راقَ حُسْنُ الرَّوضِ أو فاحَ طيبُهُ
فما ضَرَّهُ أَنْ طَنَّ فيهِ ذُبابُ

أَعَزُّ مَكانٍ في الدُّنى سَرجُ سابحٍ
وَخَيرُ جليسٍ في الزَّمانِ كِتابُ

التجلي

تجلّي المسيح - الميتروبوليت إيروثيوس فلاخوس

نقلها إلى العربية الأب أنطوان ملكي

الجزء الثالث من عظة التجلي

٩) تماماً كما كُشف عن الثالوث القدوس عند لحظة اعتماد المسيح، أيضاً أعلن عن الإله الثالوثي في لحظة تجلّيه على ثابور. الأقنوم الثاني، الذي صار إنساناً، لمع أمام تلاميذه وأظهر مجد ألوهيته. الآب أكّد أنّ هذا هو ابنه الحبيب، والروح القدس كان السحابة المنيرة التي غطّت التلاميذ. الإله الثالوثي هو نور، لأن النور هو إشراق الألوهية، معاينة نعمة الإله الثالوثي. تنشد الكنيسة:«أيها الكلمة النور الذي لا يستحيل، نور الآب غير المولود، إننا بنورك الذي ظهر على ثابور، قد رأينا الآب النور والروح النور المنير الخليقة بأسرها» (الاكسابستولاري). لقد لمع وجه المسيح كالشمس، وصوت الآب كان رؤية قوية للنور، وهكذا، بحسب ما يقول القديس غريغوريوس بالاماس، «عندها فقط صار التلاميذ غير قادرين على التحمّل وسقطوا على الأرض، والسحابة التي كانت حضور الروح القدس، كانت لامعة. كل شيء يعبّر عن مجد الألوهية».

عند أعلى درجات معاينة الله سُمع صوت الآب: «هذا هو ابني الحبيب الذي به سُررت» (متى٥:١٧). عندما نحلّل معمودية المسيح نرى فيها معنى ما أعلنه الآب. هنا ينبغي أن نشير إلى نظرة القديس يوحنا الذهبي الفم التي مفادها أن الآب يظهر محبته الكبيرة لابنه الحبيب الوحيد المولود بحسب الطبيعة. إن محبة الآب ثلاثيّة الأوجه ، فهي أبوية وكل أب يحب ابنه، وثانياً لأنه هو محبوب، وثالثاً لأنّه يُسَرّ به.

يظهر صوت الآب أن على طور ثابور كان هناك رؤية وسماع. في الحقيقة، كما يقول القديس سمعان اللاهوتي الحديث، خلال رؤية الله والإعلان عنه، كل حواس الإنسان تصير واحدة. لهذا فإن المعاينة هي سماع، والسماع هو معاينة، والمعاينة والسماع هما تذوّق وإحساس،... عند لحظة رؤية الله لا يتشتّت الإنسان، لأن التشتّت هو علامة مميزة للإنسان الساقط. من ناحية ثانية، عندما يبلغ الإنسان إلى معاينة الله، فهو يراه من خلال تقدسه. بحسب القديس نيقوديموس الأثوسي، المعاينة هي بالعادة أكثر جدارة بالثقة من السماع. فالإنسان يسمع الشيء أولاً ومن ثم يمضي لينظر إليه. لكن هنا يحدث العكس، التلاميذ رأوا مجد الله ومن ثم تبع الإثبات من خلال السمع.

شارحاً هذا الحدث، يقول القديس نيقوديموس أن الفرق بين العهدين القديم والجديد يظهر هنا. فالمألوف في العهد القديم، هو أن العمليات تجري بالسمع، فالأنبياء أظهروا الأمور الآتية من خلال التنبؤ والتكهّن. فهم كانوا يسمعون الله ثم يرون، كما يعترف أيوب البار: «بِسَمْعِ الأُذُنِ قَدْ سَمِعْتُ عَنْكَ، وَالآنَ رَأَتْكَ عَيْنِي» (أيوب٤٢:٥). من ناحية ثانية، في العهد الجديد، الأمر مخالف، حيث المألوف هو أن النظر يأتي أولاً ومن ثمّ السمع. هذا طبيعي لأن في العهد القديم كان يُعلَن عن مجيء المسيح، بينما عندما أتى ابن الله المتجسّد، صار النظر يأتي أولاً لأنّهم رأوه وكان الإثبات مسموعاً.

هذا يحدث في حياة الكنيسة وفي الحياة الروحية. عندما نكون في مرحلة التطهر، التي تذكّر بطريقة حياة العهد القديم، نسمع بالله. من ناحية ثانية، عندما نبلغ استنارة نوسنا والتألّه، بالحياة الأسرارية والأشتراك بقوة الله المنيرة المقدّسة، عندها نعاين الله. ينبغي قول كلّ هذه الأمور بتحفّظ مع القول أنّ عند بلوغ الإنسان إلى التألّه فإن كل قواه النفسية والجسدية تتّحد.

صوت الله أتى من السحابة المنيرة ليظهر وحدة الطبيعة بين الآب والروح القدس، وبالحقيقة وحدة طبيعة الأقانيم الثلاثة. إن ظهور السحابة المنيرة مرتبط أيضاً بالحقيقة المعلَنة بأنّ المسيح هو مَن قاد شعب الله في العهد القديم. يرد في كتاب الخروج أن الله قاد شعب إسرائيل في رحلتهم من أرض مصر إلى أرض الميعاد، منيراً الليل بالنار ومغطياً إياهم في النهار بسحابة، «وَكَانَ الرَّبُّ يَسِيرُ أَمَامَهُمْ نَهَارًا فِي عَمُودِ سَحَابٍ لِيَهْدِيَهُمْ فِي الطَّرِيقِ، وَلَيْلاً فِي عَمُودِ نَارٍ لِيُضِيءَ لَهُمْ. لِكَيْ يَمْشُوا نَهَارًا وَلَيْلاً.» (خروج١٣:٢١).

على ثابور أيضاً لدينا كلا النور والسحابة. المسيح نور، لأن وجهه لمع مثل الشمس، وحضور الروح الكلي قدسه هو سحابة. لا ينبغي أن نفهم من هذه الحقيقة أنّ عمل الابن مختلف عن عمل الروح القدس، أو أن تدبير الابن مستقلّ عن تدبير الروح القدس. معروف جداً أن خلق الإنسان والعالم وتجديدهما هي قوة مشتركة للإله الثالوثي. على أي حال، ما ينبغي التركيز عليه هو أن على ثابور لدينا ظهور وإعلان للإله الثالوثي. حياة الكنيسة والروح هي مشاركة في النعمة الإلهية غير المخلوقة في طبيعة الكلمة البشرية. عندما نتناول من الأسرار، نأخذ جسد المسيح ودمه، ونشترك في قوى الإله الثالوثي.

١٠) بالإضافة إلى الإله الثالوثي هناك على طور ثابور خمسة أشخاص. إلى جانب المسيح شخصان بارزان من العهد القديم، النبيان إيليا وموسى، إلى جانب التلاميذ الثلاثة، بطرس ويعقوب ويوحنا. الأوّلان يمثّلان العهد القديم، الناموس (موسى) والأنبياء (إيليا)، والرسل يمثّلون العهد الجديد. هناك سببان جعلا الرسل يعرفون أن شخصي العهد القديم اللذين ظهرا هما موسى وإيليا.

أولاً، بنعمة الله. بتعبير آخر، لقد تعرّفا إلى معايني الله في العهد القديم لأنّهما كانا في النور الإلهي. يقول القديس غريغوريوس بالاماس أنّ نور الله يكشف المستقبل بأكمله، وأكثر من هذا، يظهر الحاضر والماضي. ثانياً، عرفوهما من محادثتهما مع المسيح. يقول الإنجيلي: «وَإِذَا مُوسَى وَإِيلِيَّا قَدْ ظَهَرَا لَهُمْ يَتَكَلَّمَانِ مَعَهُ.» (متى١٧:٣). كلمات لوقا الإنجيلي الذي يخبرنا بفحوى المحادثة مميزة: «وَإِذَا رَجُلاَنِ يَتَكَلَّمَانِ مَعَهُ، وَهُمَا مُوسَى وَإِيلِيَّا، اللَّذَانِ ظَهَرَا بِمَجْدٍ، وَتَكَلَّمَا عَنْ خُرُوجِهِ الَّذِي كَانَ عَتِيدًا أَنْ يُكَمِّلَهُ فِي أُورُشَلِيمَ.» (لوقا٩:٣٠-٣١). رجلا العهد القديم اللذان ظهرا عند تلك اللحظة كانا يتكلمان عن **آلام المسيح**. فإذا أخذنا بعين الاعتبار أن تجلي المسيح صار خلال الصلاة، لأن لوقا الإنجيلي يقول: «وَفِيمَا هُوَ يُصَلِّي صَارَتْ هَيْئَةُ وَجْهِهِ مُتَغَيِّرَةً، وَلِبَاسُهُ مُبْيَضًّا لاَمِعًا.» (لوقا٩:٢٩)، وأن محادثة الرجلين مع المسيح أشارت إلى الآلام، فالاستنتاج هو أنّ هذا الحدث مرتبط بصلاة المسيح في الجثسمانية، عندما طلب أن تُرفَع عنه كأس الموت المرّة.

يقول القديس ثيوفيلاكتوس أنّ التلاميذ عرفوا هذين النبيين من الكلمات التي قالوها للمسيح والمتعلقة بما سبق لهم أن تنبئوا به طوال حياتهم. لربّما موسى قال: «أنت الذي تنبأتُ عن آلامه، في ذبح الحمل والاحتفال بالخروج». ولربما إيليا قال: «أنت الذي صوّرتُ قيامته مسبقاً في إبن الأرملة». موسى تكلّم عن التنبؤ بآلام المسيح، الفصح المسيحي، بينما إيليا كان يتكلّم عن قيامة المسيح.

١١) معروف من التقليد الآبائي أن الذين هم في حالة معاينة الله يشتركون في قوة الله، لأن الوحي الإلهي عند غير الطاهرين هو عقاب ودينونة. إذاً، أيضاً عند تجلي المسيح، موسى وإيليا ظهرا، ليس فقط لأنّهما ممثلين للناموس أنبياء العهد القديم، بل لأنّهما إنسانين عاينا الله في حياتهما. موسى رأى على جبل سيناء مجد الكلمة غير المتجسّد الذي أعطاه الناموس، ميثاق العهد القديم. لكن أيضاً قبل ذلك رأى الرؤية المذهلة الأخرى التي تشير إلى تجسد الكلمة، أي العليقة الملتهبة من غير أن تحترق. في وقت آخر، في لحظة صعبة من حياته، طلب موسى من الله أن يظهر نفسه. وعندما أعلمه الله أنّه يريد أن يظهر نفسه له، قال له بأن يقف على صخرة ومتى عبر فسوف يخبئه في نقرة الصخرة، حتى لا يرى وجهه بل ظهره (خروج٣٣:١٨-٢٣). هذا الإعلان يشير إلى تجسّد ابن الله وكلمته.

النبي إيليا أُعطيَ أيضاً أن يرى الكلمة غير المتجسّد على شكل نسمة خفيفة. لم يأت إعلان الله بشكل ريح أو زلزال أو نار، بل من خلال النسمة. «وَبَعْدَ النَّارِ صَوْتٌ مُنْخَفِضٌ خَفِيفٌ. فَلَمَّا سَمِعَ إِيلِيَّا لَفَّ وَجْهَهُ بِرِدَائِهِ وَخَرَجَ وَوَقَفَ فِي بَابِ الْمَغَارَةِ، وَإِذَا بِصَوْتٍ إِلَيْهِ يَقُولُ: مَا لَكَ هَهُنَا يَا إِيلِيَّا؟» (١ملوك١٩:١١-١٣). ترتبط هذه الرؤيا أيضاً بتجسد كلمة الله إذ بهذا التجسد قدّم الله محبته وإحسانه.

مع هذا، هناك فرق شاسع بين معاينة الله التي كانت للنبيين في حياتهما والمعاينة التي كانت لهما على طور ثابور. في حياتهما كانت معاينة للكلمة غير المتجسّد، ولهذا اختبآ في الصخرة وفي الكهف، بينما هنا رأيا الكلمة المتجسّد. آنذاك اضطرمت سيناء إلى كبد السما، وكان هناك ظلمة وسحابة وعاصفة وصوت عظيم (تثنية٤:١١)، وهي أمور تعبّر عن العهد القديم، بينما على ثابور فكل شيء كان لامعاً ومنيراً، متألّقاً بنور الألوهة الذي لا يُدنى منه، ما يشير إلى أن النور كان فوق ناموس العهد القديم.

يشير القديس ثيوفيلاكتوس بوضوح إلى الأسباب التي جعلت معاينَي الله في العهد القديم يظهران. أولاً، لبرهان أنّ المسيح هو سيّد العهد القديم والأنبياء. ثانياً، لإظهار أنّه إله الأحياء والأموات، كون موسى كان صاحب الشريعة ومات وإيليا كان نبياً وما يزال حياً كونه انتقل إلى السماء بعربة. ثالثاً، لإظهار بوضوح أن المسيح لم يكن ضد الناموس، ولا هو عدو لله، وإلاّ لما كان تكلّم إليه هذان الرجلان العظيمان اللذان عاينا الله. رابعاً، لتبديد شكّ البعض بأن المسيح هو إيليا الذي كانوا ينتظرونه، أو غيره من الأنبياء. وخامساً، لتعليم التلاميذ أن يتمثّلوا بهذين الرجلين العظيمين أي أن يكونوا متواضعين مثل موسى ومثل إيليا غيورين صلبين ومستعدين للمخاطرة عند الضرورة من أجل الحقّ.

لقد وقف نبيّا العهد القديم إلى جانب يسوع بورع وتوقير. في قانون العيد، يكتب القديس قوزما المنشئ: «إن موسى وإيليا لما كانا واقفين في طور ثابور ناظرين علانية صورة الأقنوم الإلهي. أعني به المسيح متلألئاً بمجد الآب، رتّلا باركوا الرب يا جميع أعماله». لقد رأى النبيّان على طور ثابور كلمة الله المتجسّد وفي هذه الرؤية عرفا أنّه ابن الله المولود الوحيد الحامل الصفة المميزة لأقنوم الآب، أي مجده. لهذا السبب وقفا بورع كعبدين. في العهد القديم، بحسب القديس نيقوديموس الأثوسي، وقف موسى كرئيس كهنة بين أور وهارون لكي يتغلّب الشعب الإسرائيلي، وإيليا كرئيس كهنة لله قَتَل كهنة بعل وقدّم الذبيحة المحرقة. الآن يقف هذان الرئيسان ككاهنين وعبدين على ثابور، ويقف بينهما رئيس الكهنة العظيم الذي يهيئ نفسه للذبيحة العظيمة.

هذا «التوقير» و«الانحناء» يذكّران بالفرق الكبير بين المسيح والأنبياء. المسيح يقدّس، كما يقول القديس مكسيموس المعترف، لأنّه ابن الله بالطبيعة وهو يؤلّه البشر، بينما الأنبياء كونهم بشراً يتقدّسون بالانفعال، أي أنّهم يصيرون آلهة بالنعمة والمشاركة. بتعبير آخر، **المسيح هو النور المطلَق**، بينما نور الأنبياء من خارجهم.

علينا أن ننتبه أيضاً إلى تفصيل آخر يشير إلى أمر أكثر عمقاً وأكثر جوهرية. يذكر الإنجيلي لوقا أنّ «لَمَّا كَانَ الصَّوْتُ (صوت الآب) وُجِدَ يَسُوعُ وَحْدَهُ» (لوقا٩:٣٦). عندما سُمع الصوت، اختفى رجُلا العهد القديم وبقي المسيح وحده. بحسب القديس ثيوفيلاكتوس، حدث هذا كي لا يظنّ أحد أن الصوت الذي سُمع كان عن إيليا أو موسى، فقد كان عن **المسيح فقط**. لا ينبغي أن يكون هناك أي خلط بين هؤلاء الأشخاص. **المسيح هو مركز السماويات والأرضيات**. **يتبع**

الأرثوذكسيّة
قانون إيمان لكل العصور

(٤)

الأب: انتوني م. كوثياريس

الرسل الأطهار

قاعدة الأيمان

الإيمان يأتي بطرق متنوّعة:

يمكن أن نحصل على الإيمان من خلال طرق متنوِّعة. قد يأتي الإيمان من التجربة أو من الملاحظة أو من البرهان. اثنان يضافان إلى اثنين فتكون النتيجة أربعة ، وهذا يمكن توضيحه بأن نضع تفاحتين على تفاحتين. كما يمكن أن يُدرَك الإيمان بالعقل كالهندسة وعلم المثلثات. كما يمكن أن يأتي الإيمان عن طريق قبول أمر موثوق به ، فالعلم يخبرنا أن سرعة الضوء ٢٩٩٧٩٢٤٥٨ متراً في الثانية (حوالي ٣٠٠ ألف كم/الثانية) ، ونحن نقبل هذا من خلال الوثوق بالعلم. كما توجد حقائق متعدّدة في العلم كما في الدين نقبلها من خلال الثقات (أي أُناس نثق في كلامهم) ، وأيضاً يمكن أن يأتي الإيمان عن طريق شهادة قوم نثق فيهم ، فمثلاً لا يمكننا أن نُثبت المعركة الهائلة التي حدثت في **سالاميس** ، ولكننا نقبلها من خلال شهادة المؤرخين. وأخيراً فإن الإيمان يمكن أن يأتي عن طريق الخبرة ، الأختبار شيء لا يمكن لأحد أن يتناقش فيه ، فمن خلال التجربة لا يحتاج الإنسان أن يقول: «لقد سمعتُ أن هذا هكذا» ، ولكن يمكنه أن يقول: «إنني أعرف شخصياً أن هذا حقيقي لأنني جرَّبته بنفسي».

أنا هو الطريق والحقّ والحياة

كيف ؟

السؤال الكبير هو: «**كيف؟**» ، كيف يمكن للإنسان أن يختبر اللّه في حياته؟ تأتي الإجابة من خلال تسليم الحياة والتنازل عنها تماماً ليسوع ، بالتكلم معه يومياً بالصلاة لنوال عطيّة الروح القدس ، بالإتجاه إليه لأخذ المشورة والقوّة، بالقراءة اليومية في كتابه الشخصي الذي يكلمنا يسوع منه، بنواله في سرّ التناول ، واختبار حضوره الشخصي في القداس الإلهي.

يحكي ابن أحد الكهنة ويقول: «كان أبي كاهناً وكنتُ دائماً في الكنيسة وأعيش في جوانبها ، ومع ذلك فلم أشعر أبداً أن لحياتي الروحية قوّة أو اتجاهاً حقيقيّاً ، إلى أن حضرتُ مؤتمراً روحيّاً أسلمتُ بعده كل حياتي ليسوع المسيح وكرَّستها له ، كان إيماني قبل هذا المؤتمر شيئاً موروثاً ، أما الآن وبعد لقائي الحقيقي مع يسوع ، فقد أصبحت علاقتي معه حيَّة ، شخصيّة وقويّة. هذا تماماً هو الفرق بين الإيمان الذي أقبله من الآخرين ، وبين الإيمان الذي أصل إليه بنفسي».

يجب أن يكون إيمان كل مسيحي ، ليس كرواية ولكن كخبرة حيَّة.

هل أومن ؟

مَن لا يؤمن باللّه نسميه ملحداً ، إلاَّ أن له أيضاً عقيدة ، وعقيدته هي: «**لا يوجد إله**».

سُئِلَ قس: «لماذا يحدث أن بعضاً من هؤلاء الذين ندعوهم ملحدين تكون أخلاقهم جيّدة ؟ » فأجاب القس: «ولكن ليس لهم إله يسامحهم إن هم أخطأوا ، ومَن منّا لا يخطىء».

عندما سمع أسقف تقيّ أن عالم الطبيعيّات المشهور المُلحد **جون بوروجز John Burroughs** قد مات ، فإنّه قال: «مسكين جون ، إنه أحبّ البستان ولم يحبّ البستانيّ أبداً».

عبَّر ملحد عن معضلة الإلحاد عندما قال لزميل له: «التصق به يا **توم Tom** » ، فأجابه: «ولكن لا يوجد شيء ألتصق به!».

من أسباب الألحاد:

(١) الكبرياء

توجد أسباب كثيرة تقود الناس إلى الإلحاد ، ومن ضمنها الكبرياء ، الكبرياء العقليّة التي لا يمكنها أن تقبل أي شيء لا يفهمه العقل. قد تكون كبرياء المعرفة الضحلة ، يقول **السير فرانسيس باكون Sir Francis Bacon** «إنّ رشفة من فنجال الفلسفة تؤدّي إلى الإلحاد ، ولكن شُرب الفنجال كلّه يؤدّي إلى التديّن». قد تكون الكبرياء هي التي تجعل الإنسان يتخذ نفسه إلهاً لنفسه. يقول **دستويفسكي Dostoievsky** : «إن لم يوجد إله ،نكون نحن الآلهة ونضع القوانين على أمزجتنا». إنّ الإنسان الذي يُقيم نفسه إلهاً هو الذي يعمل مثل الشيطان ، وهو الذي يملأ الحياة بالرعب. إنّ **كارل ماركس ، شوبن هاور ، نيتشه وآخرين** ، حارَبوا من أجل أن يمحوا فكرة أن وجود اللّه من عقل البَشر، قالوا: «**نحنُ آلهة**»، وعليهم

يردُّ **دستويفسكي** بسرعة: «إن كنّا آلهة ، فإن كلّ شيء يكون مُباحاً ولن يكون الإنسان مسئولاً أمام أحد عن أعماله». وحتى **ڤولتير Voltaire** تحقّق من خطورة مثل هذا الفكر بينما كان يتناقش مع بعض أصدقائه في موضوع الإلحاد وقال لهم: «اسكتوا يا رفاقي حتى يمضي الخَدَم ، لأنّهم إن آمنوا بما تؤمنون به (يقصد الإلحاد) فلن يكون لحياة أحد منّا أمان».

(٢) أسباب عاطفيّة:

وبعد الكبرياء ، فإنّ كثيراً من الإلحاد يعود إلى أسباب عاطفيّة. إن الطفل الذي يتمرَّد على الأب العنيف الذي يحاول أن يفرض الدين على أولاده ، يصبح ملحداً.

إندفعت إمرأة إلى مكتب قس لتقول له: «**لا يوجَد إله**». عَلِمَ الراعي أن هذا الإلحاد قد نما داخل المرأة بعد أن طُرِدَ ابنها مِن الكنيسة. إن كثيراً من الإلحاد هو عبارة عن ردّ فعل عاطفي من نفس نوع المرض العصبي.

(٣) أسباب أخلاقيّة:

يلي ما سبق أنه توجد أسباب أخلاقية تدفع البعض إلى الإلحاد. قال جندي: «أنا سعيد لأنّني ملحد ، لو كنتُ مسيحيّاً لاضطررتُ أن أساعد المرضى». إن لم يوجد إله ، فلن نشغل أنفسنا بتنفيذ أوامره أو وصاياه. قال **ألدوس هوكسلي Aldous Huxley الملحد**: «لو قبلتُ الإيمان لاضطررتُ لإصلاح طرقي لأحيا على مستوى أخلاقيّ أرقى ، وهذا ما لا أريد أن أعمله». إنّ يسوع قد عبَّر عن هذا بقوله: «كل من يعمل السيّئات يبغض النور ولا يأتي إلى النور لئلا توبّخ أعماله ، وأمَّا من يفعل الحقّ فيُقبِل إلى النور لكي تظهر أعماله أنها باللّه معمولة» (يو٣: ٢٠).

(٤) الإهمـــال:

وأخيراً يوجد إلحاد نتيجة اللهو والإهمال. إنّ اللّه لا يكون موجوداً بالنسبة للبعض بسبب إهمالهم ، أو بسبب أنهم لاهون تماماً باهتمامات ومشاغل الحياة. مثل هؤلاء هم الذين يصفهم **هالفورد لوكُ Halford Luccock** في قصيدة صغيرة هزليّة فيقول:

إن كانت أنفك قريبة من السطح الخشن لحجر الجلخ ، وأنت تمسك بها هناك لمدّة طويلة ، ففي وقت سوف تقول إنه لا يوجد مثل هذا الشيء ، مثل جداول المياه التي تهدر والعصافير التي تغرّد ، وكل عالمك يتكوّن من هذه الأشياء الثلاثة: أنتَ فقط والحجر وأنفك البالي.

هذه هي بعض أسباب الإلحاد: الكبرياء ، رغبة الإنسان أن يعمل ما يريد دون تدخُّل أي شخص ، التمرّد الناتج عن أسباب عاطفيّة ، الإهمال والكسل.

(٥) التمرّد على إله غير حقيقي:

ومع ذلك ، فليست هذه هي كلّ الأسباب. يوجد بعض الملحدين يكون إلحادهم بسبب بعض أسباب جيّدة ، إنّهم يتمرّدون ضد فكر خاطىء عن الإله الحقيقي ، يتمردون ضدّ وجود إله يُرسل المرض والموت كعقاب على الخطايا ، إن مثل هذا الإله غير موجود ، إنهم يرفضونه. وكذلك هم يرفضون أيضاً إلهاً يُحَرِّك الناس مثل قطع الشطرنج على اللوحة دون أن يترك لهم عملياً فرصة اتخاذ قرار بأنفسهم. هذا أيضاً إله غير موجود. كذلك الإله الذي يحكم باستبداد على البعض بالهلاك بينما يخلِّص آخرين ، هذا أيضاً إله غير موجود. إن مثل هذا الصنف ينكره كثيرون من الملحدين ، ونحن كذلك نوافقهم على هذا. إن إلهاً مثل هذا ليس هو الإله الذي نؤمن به.

جاء شخص إلى كاهن ذات يوم وقال له: «لقد فقدت إيماني» ، فقال له الكاهن: «حسناً! مثل هذا النوع من الإيمان يجب أن تفقده».

كان الشهداء المسيحيّون الأوائل يُقابَلون بالهتافات: «**إلى الأسود مع الملحدين**». كان الجمع حقّاً على صواب. فأولئك المسيحيون الأوائل كانوا حقّاً ملحدين ، إنهم رفضوا أن يؤمنوا بآلهة روما الكاذبة: **ڤينوس ، جوبيتر . باخوس** وآخرين غيرهم. إن كنّا نعبد يسوع على أنه الإله الحقيقي وحده ، فنحن مدعوون لأن ننكر الآلهة الأخرى غير الحقيقيّة. **يتبع**

مـا هـي الأبديـة ؟

وهذه هي الحياة الأبديّة أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح

سُئِلَ تلميذٌ أخرس: ما هي الأبديّة ؟

فكتَب ما يلي: الأبديّة:هي دوام بلا ختام .. ووجود بلا حدود . هي حاضر بلا مستقبل.هي حياة بلا موت .. إنها نهار بلا مساء.هي حلقة أولها وآخرها في ذاتها . هي مسألة حسابيّة لا تنقضي أبداً مهما طرحت منها . هي محيط لا قرار ولا شاطىء له .الأبديّة هي اللّه.

عزيزي: إنّ الأبديّة هي يوم بلا أمس ولا غد. هل أنت مستعد للأبديّة ؟ هل لك إشتياق للأبديّة السعيدة ؟. قال بيتهوفن الموسيقار الأصم وهو يفارق الحياة: (سأسمع أنغام السماء الشجيّة). نعم: في الأبديّة السعيدة. تتسربل الأجساد بالثياب البيضاء.وتكلّل الرؤوس بأكاليل البهاء . ويترنّم بالأناشيد سكان السماء. ربّي يسوع: لا تفقدني هذا العبير الزكيّ .. ولا تطفىء هذا النور الذي يجعل روحي تضيء كشمس الصباح.

العظات الثمانية عشر لطالبي العمّاد

لأبينا القديس كيرلّس رئيس أساقفة أورشليم

العظة الثانية - في التوبة ومغفرة الخطايا

«برّ البار عليه يعود ، ونفاق المنافق عليه يعود. والمنافق إذا تاب عن خطاياه التي صنعها وحفظ جميع رسومي واجرى الحكم والعدل، فإنّه يحيا» (حزقيال ١٨:٢٠-٢١)

١ ـ الخطيئة مرض عضال ولكنه يُشفى بالتوبة:

الخطيئة بشعة،والأثم مرض عضال يبتلي النفس،فيشلّ طاقاتها ويجعلها مستحقة للنار الأبديّة. انها الشرّ المرتكب طوعاً ، وجرثومة القصد السيّء. ونحن اذ نفعل الشرّ طوعاً نرتكب الخطيئة. ويقول النبي بحكمة: «اني غرستك افضل كرمة وزرعَ حقٍّ بجملته ، فكيف تحوّلت إلى غروس كرم أجنبي ؟ » (أرميا ٢:٢١). الغرس جيّد والثمرة رديئة ؛ فالشرّ هو من الإرادة الرديئة ، ولا ذنب على الذي زرع. ولكنّ الكرمة ستُحرق بالنّار ، لأنها غرست للخير ، وبسبب الإرادة السيئة اثمرت ثمراً رديئاً. «فاللّه صنع البشر مستقيمين ، أما هم فتطلّبوا مباحثات كثيرة» (سفر الجامعة ٧:٢٩). ويقول الرسول: «لأننا نحنُ عملهُ ، مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة، قد سبق اللّه فأعدّها لكي نسلك فيها» (أفسس ٢:١٠). فالخالق صالحٌ ، خلقنا لأعمال صالحة ؛ ولكنّ الخليقة انحرفت الى الشرّ بملء ارادتها. فالشرّ اذن بغيض ويدعى خطيئة ، ولكنه ليس عديم الدواء. انه بشع للذي يلتزمه ، ولكنه سهل الشفاء للذي يسلك طريق التوبة. فلنفرض أن إنساناً يحمل ناراً في يده ، فهو ما دام يحمل الجمرة حتماً سيحترق. ولكنه اذا ألقى الجمرة فهو ينفض في نفس الوقت ما كان يحرقه. وإن ظنّ احد أنه لا يحترق إن أخطأ ، فإنّ الكتاب يقول له: «أيأخذ انسان ناراً في حجره ولا تحترق ثيابه ؟ » (أمثال ٦:٢٧)، لأن الخطيئة تحرق قوى النفس.

٢ ـ الخطيئة تنبع من ارادة الانسان:

قد يقول قائل: ماذا يمكن ان تكون الخطيئة؟ هل حيوان أم ملاك أم شيطان ؟ ما هو الفاعل أو الدافع ؟ ليس هو عدوّ ، يا انسان ، يحاربك من الخارج ؛ انها جرثومة تنبت فيك. «لتنظر عيناك إلى الأمام» (أمثال ٤:٢٥) ، ولا تكن فيك رغبات سيئة. إحفظ ما هو لك ، ولا تأخذ ما هو للغير فتنقطع السرقة. أذكر الدينونة، وعندئذ لا الدعارة ولا الزنى ولا القتل ، ولا أي عمل من هذه الأعمال غير الشرعيّة سيمتلك عليك. عندما تنسى اللّه ، تبدأ افكار السوء تراودك فترتكب المعصية.

٣ ـ الشيطان لا يوحي الاّ بالخطيئة ، فابتعد عنه:

لستَ انتَ وحدك صانع الشرّ، بل يوجد من يحرّضك عليه ؛ انه الشيطان الذي يقترحه عليك ، ولكنه لا يستطيع شيئاً ضدّ الذين لا يقبلونه. ولذلك يقول سفر الجامعة: «اذا ثار عليك روح المتسلط فلا تترك مكانك» (الجامعة ١٠:٤)؛ إغلق بابك واطرده بعيداً ، فلا يمسّك بسوء ، ولكن اذا قَبلتَ بقلّة اكتراث شهوة سيئة ، فهو سيتوغّل فيك ويبثّ فيك افكاره ويربط ذهنك ، ويدفعك الى هاوية الشرور . ولكن لعلّك تقول: انا مؤمن ، ولن تقهرني الشهوة الرديئة لو جرّبت مرّات عديدة! هل تجهل انّ جذر الشجرة ، الذي يظلّ زمناً طويلاً ملتصقاً بالصخرة ، ينتهي بشقّها ؟ لا تقبل بهذه البذرة ، لأنها ستحطّم ايمانك . إقلع الشرّ من جذره قبل ان يُزهر. لا تكن كسلاناً في البداية ، حتى لا تعمد في النهاية إلى الفأس (متى٣:١٠) وإلى النار (ارميا ٢٣:٢٩). ابدأ بمعالجة عينيك في الوقت المناسب، لكيلا تصبح اعمى وتسعى فيما بعد الى الطبيب.

٤ ـ الكبرياء أصل سقوط إبليس:

فالشيطان إذن هو المحرّض على الخطيئة وفاعل الشرور ، وهذا القول هو قول **الرب** وليس قولي: «ان إبليس يخطأ منذ البدء» (١يو٣:٨ ؛ يو٨:٤٤ ؛ تك٢:١٧) إذ لم يخطأ احد قبله. لقد أخطأ ، ولكنه لم يخطأ بحكم طبيعته ، والاّ ارتدّت علّة الخطيئة الى خالقه. انه خُلقَ صالحاً واصبح شرّيراً بملء ارادته ، واتخذ هذه التسمية بسبب عمله. كان رئيس ملائكة، فسمّي **«إبليساَ»** بسبب اضاليله ؛ ومن خادمٍ صالح للّه ، اصبح **«شيطاناَ»** بحقّ ، لأنّ **«شيطان»** يعني **«خصم»**. وهذه المعلومات ليست مني ، بل من حزقيال نبيّ الأرواح ، إذ قال عنه راثياً لحاله: «كنتَ خاتم صورة اللّه وتاج البهاء ، ولدت في الفردوس» ؛ ثم يعود فيقول بعد قليل: «كنتَ كاملاً في طرقك من يوم خلقتَ الى أن وُجدَ فيكَ إثم» وهو على حقّ عندما يقول: «الى أن وُجدَ فيكَ إثم» لا لأنه تلقّاه من الخارج بل لأنه وَلَده. ثم يستطرد موضحاً السبب: «طمح قلبك لأجل بهجتك وأفسدت حكمتك لبهائك ، فطرحتك الى الأرض» (حزقيال٢٨:١٢-١٧). ويؤيّد الربّ ذلك في الأناجيل عندما يقول: «كنتُ ارى الشيطان يهوي من السماء كالبرق» (لوقا ١٠:١٨). ها انتَ ترى اتفاق العهد القديم مع الجديد. وهو عند سقوطه اسقَطَ معه كثيرين. وهو الذي يُثير في الذين يذعنون له الشهوات الرديئة: الزنى والفسق وكل انوع الشرّ ، وبسببه طُردَ ابونا الأوّل. وبدلاً من الثمار البهيّة التي كان ينتجها الفردوس ، تلقى ارضاً تنبت شوكاً (تك ٣:١٨).

٥ ـ لا تيأس حتى في حالة الخطيئة:

ماذا اذن ، يقول قائل: هل نموت يائسين ؟ أمَا من سبيل لنا الى الخلاص ؟ «أنسقط ولا يمكن أن ننهض ؟» (ارميا ٨:٤) ؛ لقد عمينا فلا يمكنّا ان نبصر ؟ إننا نعرج ، فهلاّ امل لنا في ان نمشي مستقيماً ؟

وبكلمة ،نحن أموات وما من أحد ليقيمنا ؟ (مز٤٠:٩) . ذاك الذي أقام لعازر وقد أنتن ، لأنه كان ميتاً منذ اربعة ايام (يو ١١:٣٩) ، ألا يستطيع ان يقيمك ، يا انسان ، وانت حيّ ؟ ذاك الذي اراق دمه الكريم لأجلنا ، هو ذاته سيعتقك من الخطيئة. فلا نيأسنَّ إذن ، يا اخوتي ، (افسس ٤:١٩) خوفاً من أن نقع ، إذا يئسنا ، في حالة لا رجاء منها: إذ من الخطر الاّ نؤمن برجاء التوبة. فالذي لا ينتظر خلاصاً يجلب على نفسه شروراً لا عدّ لها. والذي يأمل الشفاء بالعكس يحفظ نفسه. واللص الذي لا يرجو العفو يزداد شرّاً ، أما الذي يرجوه فغالباً ما يأتي الى التوبة. ماذا اذن ؟ أتستطيع الأفعى ان تخلع شيخوختها ونحن لا نستطيع ان نخلع الخطيئة ؟ إن كانت الأرض المملوءة شوكاً تتحوّل الى أرض خصبة متى فُلحَت جيّداً ، ألا نستطيع نحن أن نخلص ؟ وبما ان طبيعتنا قابلة للخلاَص ، فما على ارادتنا الاّ ان تسعى اليه.

٦ ـ اللّه كثير الرحمة:

اللّه يحبّ البشر ، والى حدّ ليس بالقليل. لا تقل إذن : اني ارتكبت الدعارة والزنى ، واقترفت آثاماً كبيرة بدل المرّة مرّات عديدة ، فهل يغفر لي وينسى ذنوبي ؟ إسمع ما يقوله صاحب المزامير: «ما أعظم كثرة صلاحك يا ربّ الذي ذخرتهُ للذين يخافونك» (مز٣٠:٢٠). ان عدد خطاياك المتراكمة لا يمكن ان يطغوَ على رحمة اللّه ، وجراحك لا يمكن ان تعلو خبرة الطبيب الأعلى. سلّم نفسك اليه بإيمان، وأخبر الطبيب بدائك ، وقل لنفسك مع داود: «قلت ، اعترف للربّ بمعاصيّ» (مز٣١:٥؛٣٢:١٩)،فيتحقّق فيك أيضاً ما كتب: «وانتَ غفرت إثم خطيئتي» (مز٣١:٥).

٧ ـ مدى عظمة رحمته من آدم وقاين

هل تريد ان ترى محبّة اللّه للبشر ، انت الذي تأتي لسماع التعاليم منذ وقت قصير ؟ هل تريد ان ترى محبة اللّه للبشر وتقف على مدى عظمة رحمته ؟ اسمع ما حدث لآدم. آدم خليقة اللّه الأولى ، عصى اللّه. ألم يكن في استطاعة اللّه ان يحكم عليه بالموت في الحال ؟ ولكن انظر ما فعله الرب الكثير الرحمة: طرده من الفردوس (لأنه لم يعد يستحقه بسبب خطيئته ، تك٣:٢٤) ، وأقامه بجوار الفردوس ، لكيما اذا رأى الحالة التي كان عليها والحالة التي اصبح فيها ، يخلص بالتوبة. **وقاين** أول مواليد البشر ، صار قاتلاً لأخيه ومخترعاً لجميع الشرور ، وأوّل الحاسدين والقتلة. وبماذا حُكمَ عليه بعد أن ازال أخاه من الوجود ؟ «تكون تائهاً شارداً في الأرض» (تك٤:١٢). كانت الخطيئة عظيمة ، لكن الحكمُ طفيفاً .

٨ ـ .. وفي الطوفان :

ها هي محبة اللّه الحقيقيّة ، ولكن لا تُعتبر شيئاً اذا قورنت بما يلي: فكّر فيما حدث ايام نوح: كان الجبابرة قد أخطأوا ، وانتشر على الأرض شرّ عظيم ، (هوشع ٤:٢) بسببه حدث الطوفان. ففي السنة الخمسمائة هدّد اللّه (تك٦:١٣) ، وفي السنة الستمائة أتى بالطوفان على الأرض (تك٧:١١). فاعتبرْ مدى رحمة اللّه التي تمتدّ الى مائة عام. فما عمله بعد مائة عام أما كان في استطاعته ان يفعله في الحال ؟ وإن كان هو تأخّر فذلك عن قصد ، لكي يفسح المجال للتوبة. هل ترى إذن محبّة اللّه ؟ فلو أنهم تابوا في ذلك الوقت ، لَـمَا حُرموا من محبّة اللّه !

٩ ـ ... وفي راحاب :

لنعتبر أيضاً الآخرين الذين خلصوا بالتوبة. قد تقول امرأة: لقد ارتكبتُ الدعارة والزنى واسلمتُ جسدي لجميع انواع الفسق ، فهل لي من خلاص ؟ انظري يا امرأة الى راحاب ، وانتظري انت أيضاً خلاصك. لأنه اذا كانت البغيّ قد خَلُصَت بالتوبة ، فكيف لا تَخلُص تلك التي سقطت مرّة واحدة ، وقبل ان تتلقّى النعمة ، بسبب توبتها وصيامها ؟ هل تعرف كيف خلصت هذه البغيّ ؟ إنها قالت فقط: «الرب إلهكم هو إله في السماء من فوق ، وعلى الأرض من اسفل» (يشوع٢:١١). إنها تقول «إلهكم» لأنها ، بسبب فسقها ، لم تجسر ان تقول إنه إلهها. وإذا اردت التأكد من خلاصها بشهادة من الكتاب ، فإنك تجد في سفر المزامير: «أذكر راحاب وبابل بين الذين يعرفونني» (مز٨٦:٤). يا لعظمة رحمة اللّه الذي يذكر الزانيات في الكتاب ! إنه لا يقول: «أذكر راحاب وبابل» فقط ، بل يُضيف: «بين الذين يعرفونني» ، فهناك إذن خلاص للرجال والنساء عن طريق التوبة.

٩ ـ ... ومع هارون :

حتى لو كان الشعب كلّه قد أخطأ ، لَـمَا نال ذلك من محبة اللّه للبشر. كان الشعب قد صنع عجلاً ، ولكنّ اللّه لم يتخلَّ عن محبّته. لقد انكر البشرُ اللّه ، ولكنّ اللّه لم ينكر ذاته (٢تيمو ٢:١٣). قالوا: «هذه آلهتك يا إسرائيل» (خر٣٢:٤). وكعادته اصبح إله إسرائيل مخلّصهم. لم يكن الشعب وحده هو الذي أخطأ ، بل حتى هارون رئيس الكهنة. وموسى هو الذي قال ذلك: «غضب الربّ على هارون جداً فتضرّعت لأجله وغفر اللّه له» (تثنية ٩:٢٠). وهكذا هدأ موسى غضب الرب بتوسّله من أجل رئيس الكهنة الخاطىء. فهل يمكن ألاّ تُقبَل عند اللّه الآب شفاعةُ ابنه الوحيد يسوع لأجلنا ؟ إن كان اللّه لم يمنع الكهنوت السامي عن هارون الخاطىء ، فهل يمنعك ، انت الآتي من بين الأمم ، من الدخول الى الخلاص ؟ فتُب انت أيضاً ، ايها الانسان ، ولن تُرفَض لك النعمة. ليكن سلوكك في المستقبل بلا لوم ، لأن اللّه يحبّ البشر فعلاً وليس في استطاعة انسان ان يفسّر محبته ، وحتى ولو اجتمعت كلّ الألسن البشرية ، لَمَا كفت لتفسير رحمة اللّه ؛ ونحن لا نخبرك إلاّ بالقليل مما جاء في الكتب المقدّسة عن محبته للبشر ، ولكنّنا نجهل مدى محبته للملائكة ، لأنه قد غفر لهم أيضاً ، بما انه ليس هناك إلاّ شخص واحد بلا خطيئة ، وهو يسوع الذي طهّرنا من خطايانا. أما عن الملائكة فقد تحدثنا بما فيه الكفاية.

تتمة العظة الثانية في العدد القادم

قصة المسيحية في البلاد العربيّة

للبطريرك مكاريوس الحلبي

من «كتاب النحلة» ذو الأصل اليوناني

قصة المسيحية في البلاد العربية ـ للبطريرك مكاريوس الحلبي «كتاب النحلة » ذو الأصل اليوناني. وقد أضاف إليه معرِّبه البطريرك مكاريوس الزعيم (١٦٤٧–١٦٧٢) أخباراً شتى جمعها من كتب كثيرة، وهي لا تخلو من الطرافة والفائدة. وقد اعتمد البطريرك مؤلفاً صنَّفه بائيسيوس الساقزي مطران غزّة. ننشر في ما يلي أحد فصول هذا الكتاب بحرفه الأصلي، مكتفين بزيادة عناوين توضيحية والتعليق ببعض الحواشي على ما جاء في النصّ.

١) ـ اللغات القديمة...

أردت أن أخبر إخوتنا المسيحيين في بعض أخبار غريبة ربما لم يكونوا يعرفوا أصولها. وذلك بأن منذ القديم كانت انطاكية العظمى ودمشق وطرابلس وما يليها وحلب وما والاها وساير بلادنا، مع أورشليم وساير بلادها، إلى نواحي مصر؛ ومن أنطاكية إلى ساير بلاد قرمان؛ كانوا يتكلمون باللسان اليوناني والرومي، وبالخاصة حين تملّك عليهم **الاسكندر المكدوني اليوناني**، لأنه تملّك سائر الدنيا. وبعد مماته تملّكوا عبيده بعده واقتسموا ساير الدنيا... وبعدهم **قسطنطين الكبير** وابنه قسطنطينوس، **وساير ملوك الروم، إلى هرقل الملك**. وكانوا جميعهم يتكلمون باليوناني والرومي؛ ويرسلوا من قبَلهم إلى ساير بلاد المشرق الحكام والولاة ليسوسوا أحوال أهل البلَاد. وكانت لغات جميعهم يونانية ورومية. فمن هذه الجهة انزرع اللسان اليوناني والرومي في أكثر المسكونة، خصوصاً في بلادنا. وإلى الآن موجودة كتابة باليونانية على **الحصون والأسوار والكنائس المعظمة**. فدلَّ أن ساير بلاد المشرق أكثرهم كانوا يتكلموا باليوناني لأن الرعية على لغات ملوكهم. وأما القرى التي في بلادنا فكانوا يتكلمون باللغة السريانية ولهذا دُعيت بلادنا بأسرها بلاد السيريا. وكان أهل القرى يقرّون باللغة السريانية ويتكلمون فيها، وبقيوا بعضهم إلى زماننا هذا.

وأما بلد كيليكيا وبين النهرين وبلاد ارمينية كانوا يتكلمون بالأرمنية والسريانية وكانوا رؤساء كهنة الأرمن والسريان وقتئذ يعرفون باللغتين أرمن كانوا أو سريان. وكانوا يتعلّمون اليونانيةً أيضاً لأجل قراءة الكتب ومعرفة ما فيها لأجل المحاورات فيمَا بينهم...وأما بُسْرى (بصرى) العربية فهي فوسطرو أعني حوران، هذه هي بلد أيوب الصدّيق، ووالدته كان اسمها بُسْراوس (حوران تأخذ اسمها من أم أيوب: بسرى بالآرامية، بسرواس باليونانية). وكانوا أهل هذه البلدان في القديم أُناساً منهم يتكلمون بلغة عربية، وهي أول بلاد العرب، لأن منها إلى مكة ونجد واليمن، فكانوا كلهم يتكلمون بالعربي. وهذه أرابيا (العربية) البلقا، واليها هرب بولس الرسول لما خرج من دمشق وذكرها في رسالته... وفي عيد العنصرة لما كانوا مجتمعين بأورشليم من ساير الدنيا، وهبط الروح القدس على الرسل، وصف لوقا الإنجيلي في الابركسيس (أعمال الرسل) بأنه كان حاضراً وقتئذ ستة عشر لغة، وذكر في آخرهم «وأعراب». فاستبان بأن هذا اللِّسان كان من حين تبلبلت الألسن في بابل، لكنه كان محقور، وقليل من كان يقرأ فيه، وبخاصة في أيام ملوك المسيحيين، كانوا يقرّوا باليوناني والسرياني. وداود يقول: «ملوك العرب وسبا» أي اليمن. ومطرانية حوران كانت تروس على ستة وثلاثين أسقف ،لأن كان فيها ستة وثلاثين مدينة. وكانوا يقرّون باللغة اليونانية على ما تدلّ كتبهم والأدراج واللفائف الرومية القديمة.

٢) ـ المسيحية في فلسطين وسيناء

وفي عهد القديس أفتيميوس الكبير أتى إليه طرابن رئيس قبيلة العرب. فأشفى القديس ابنه لأن جنبه الواحد كان يابساً.. فآمن بالمسيح مع سائر قبيلته. وعمّدهم بطرك أورشليم، وعمل منهم اثنين أساقفة وذهبوا وحضروا في المجمع الثالث الذي في أفسس ، والمجمع الرابع الذي في خلقيدونية. وهم من جملة القديسين أصحاب المجامع. ويدعون هؤلاء أساقفة البربر. وكانوا كهنتهم ورعاياهم يقدّسون في كنايس من خيم وينقلوها معهم في أسفارهم. وبقيوا في ديانة المسيح نحو ثلاثماية سنة. وذرية هؤلاء المذكورين فهم بيت طربيه بأسرهم الذين هم الآن في جينين القدس وبلادها...وكثير من العرب كانوا يصيروا نصارى ويعتمدوا. وكانوا ملوك الروم يعطوهم أماكن بأطراف بلادهم توافقهم. وسابقاً بعض رسل المسيح ذهبوا لعندهم وأناروهم، وهم سيمون **المدعو ناتانائيل ومتياس** وغيرهم وعمّدوا كثيرين...وكتاب التاريخ يخبر بأن المنذر أبو النعمان الذي ابتنى المعرّة ملك العرب كان نصرانياً، واعتمد مع قبيلته.وأخبر ثاودوريطوس أسقف قورش بأن كانت امرأة مسيحية حسيبة جداً تروس على قبائل كثيرة من العرب الذين بين مصر وفلسطين. وكانت غيورة في الأمانة جداً. فلما نظرت هؤلاء البربر لا يعرفون الله ذهبت لعند موسى البارّ الناسك بقرب تلك البلاد وتضرّعت إليه فأطاعها وذهب معها للاسكندرية فشرطنه بطركها أسقفاً على العرب، وأخذته معها لبلادها. وأنارهم بتعليمه وبالعجائب، فاقتادهم إلى الإيمان وعمّدهم مع نسائهم وأولادهم.

الأمبراطوريّة الروميّة سنة ٥٢٧ باللون الأحمر.
الأمبراطوريّة الروميّة سنة ٥٦٥ باللونين الأحمر والأصفر.

٣) ـ المسيحية في اليمن

ولما كانت تبقى قبيلة من اليهود في بلاد اليمن كان عليهم مقدَّماً سمُّوه الملك (**هو ذو نواس أي أبو الجديلة**). وكان يبغض المسيحيين كثيراً. وكان في أطراف بلاد اليمن مدينة عظيمة تُدعى نجران بها أسقف وكل أهلها مسيحيين. فذهب هذا الكافر إليهم ومعه عسكر كثير يهود وعبّاد أصنام وحاصر مدينتهم. فلمّا لم يقدر أن يفتحها خادعهم وحلف لهم بأنه لا يؤذيهم، لكي يفتحوا له أبواب المدينة، ليدخل من الباب ويخرج من الآخر فقط، ويذهب لبلاده. فصدّقوا قوله. فلما دخل غدر فيهم وطلب منهم أن **ينكروا المسيح** ويصيروا يهود ليخلصوا ويكرمهم. فلما خالفوا رأيه، وبصقت في وجهه بنت أحد أكابرهم، قتلهم كلهم، وأحرق منهم كثيرين بالنار، ولم يبقي أحداً منهم، ولم ينكر المسيح أحداً منهم. وتذكارهم في الرابع والعشرين من تشرين الأول... وهؤلاء الشهداء كانت لغتهم عربية كبلاد اليمن.ثم بعد هذا اليهودي صار على اليهود مقدّم غيره يدعى **دميانس** وجعل ذاته ملك. وكان يؤذي المسيحيين الذين بقربه. وقتل كثير من التجار. وكان في تلك الجهة ملك أممي يدعى داوود، ملك أكسيوطن، أراد أن يحارب هذا **داميانس**، فتضرّع إلى الله أن يساعده على قتل **داميانس** ليصير هو مسيحياً مع ساير بلاده. فذهب وحاربه ومسكه بالحياة وقتله ولجانب من عسكره وأخذ ملكه جميعه. وشكر الله على ذلك، وأرسل فأعلم **يوستنيانس** وطلب منه أن يرسل أساقفة وكهنة وشمامسة لأنه آمن بالمسيح من كل قلبه ليعمّدوه. فأرسل كل ما طلبه منه وعمّدهم وصاروا كلهم مسيحيين، في السنة الخامسة عشر من مُلك يوستينيانس.

٤) ـ الكتب المقدسة بالعربية في الجاهلية

وكانوا كلهم يعرفون اللغة العربية. وكانت صلواتهم في المزامير وسائر الكتب العتيقة (العهد القديم) بلسان أهل بلادهم. لأن اليهود قد كانوا أنزرعوا في كافة الأرض، ونقلوا التوراة وساير الكتب العتيقة إلى ساير تلك اللغات الساكنين في تلك البلاد. ولما آمنوا هؤلاء بالمسيح فكانوا في حال صلواتهم والقداسات يقرأوا كتب الله المقدسة بلغات أهل ذلك الصقيع، وكذلك الإنجيل الطاهر والرسايل والابركسيس (أعمال الرسل) وكانوا يفهموهم بلغاتهم، ويقرأوهم على الشعب والمعلمين، ويوعظوا الشعب بالكلام النافع. ولم تكن هذه القوانين والقطع المختصة بمديح القديسين وصلت إلى هناك.

وأنا الفقير نظرت كتاب **الطب الروحاني** قديم جداً، وكان مكتوب في أوله، بأن الذي أنشأه يدعى ميخاييل أسقف مدينة اثرب وهي هذه المدعوّة الآن اترب (أكسيوم في بلاد الحبشة)، ونظرت كثيرين كهنة ومعلمين اعتراف ، لم يعرفوا يداووا الساقطين في الخطايا بدواء موافق لشفائهم، ولا يعرفوا كيف يدبّروا الراجعين إلى التوبة. فحرّكني الفكر إلى ذلك، وجمعت من أقوال الآباء القديسين مما كانوا وصفوه موافقاً لمداواة المسقومين بالخطايا. وعمل ذلك الكتاب تسعة وأربعون باباً. وكان كله بلغة العربية، لأنه رتب بعد زمان طويل من دخول الإسلام إلى البادية العربية.

٥) ـ المسيحية في يثرب ومكة

وكان في اثرب ومكة (يريد قبل الاسلام) كنايس كثيرة ومسيحيين وكانوا يتكلموا باللغة العربية. وأما صلواتهم وقراءاتهم فكانت بلسان أهل تلك البلاد (هي يثرب، المدينة المنوّرة. كان فيها أسقف وكثير من الكهنة والمعلمين). وكان فيهم أقوام يفهمون بلغتين وبثلاثة. وكانوا يوعظوا المؤمنين دائماً، ويفسّروا لهم معاني الكتب الغامضة. فامتلت المسكونة وجبالها من النساك. وليس كانوا من الفقراء والدناة فقط، بل ومن الأكابر ومن الملوك تركوا كراسيهم واختاروا **شقا الرهبنة**، حتى ونسا وعذارى تركوا غناهم وشهوات العالم، لمعرفتهم بأن بهذه السيرة الضيقة يرثون ملكوت السماء.

٦) ـ زمن الشدّة

ثم فيمَا بعد ذلك فسمح الله أزال ملك المسيحيين وسلّط عليهم قبيلة غيرهم تعاقبهم وتحكم فيهم. وأزال مجدهم وشرفهم. وهجمت عليهم الامتحانات بغتة. وكان ذلك لأمور يعرفها الله. إما لأجل بطرهم وافتخارهم، أو لأجل خطاياهم وبغضهم لبعضهم بعض، وشرورهم؛ أو أنه امتحنهم ليسبر صبرهم واحتمالهم، أو قضى عليهم، كما قال داود: «قضا الله حقاً صادق، أفضل من كل شيء شهي»؛ أوكما قال بولس بأن «نار الامتحانات يسمح الله فيها تصير على المؤمنين ليظهر فيها احتمال الصابرين، والتهاب الخطأة المنافقين»...وكانوا اليهود الملاعين يحركون الحكام دايماً بالهدايا والرشى، ويقولوا لهم: نحن نعرف بعلم النجوم، وإذا أهنت عبّاد الصليب تعيش زماناً طويلاً. وكان كثير من الملوك يصدّقوا قولهم.

٧) ـ فرض اللغة العربية

ثم ظهر ملك وحتّم على المسيحيين الذين في كل مملكته بأن لا يتكلموا باليوناني ولا بالسرياني ولا بالقبطي، ومن خالف ذلك ولم يتكلم بلسان العربي، فيُقطع لسانه ويُصبّ في فمه رصاص... وكان أيضاً اليهود يحثّوا الأجناد والمباشرين على ذلك، ويُعلموهم بالذي لا يتكلم بلسان العربي. وكانوا يطوفوا سراً بين المسيحيين بخبثهم وزغلهم ويأتوا يوضحوا للحكام كلما يريدوه، وكانوا يصدّقونهم، وقطعوا ألسن كثيرة... ومن تبقّى منهم بغير قطع لسان أقاموا لهم تراجمين في الأسواق والبيع والشرا يعرفون بلسان العربي ولسان النصارى (هذه شهادة ثمينة متواترة) ...

التتمة في ص ١٥

العدالة الاجتماعية «العرب» وجهة نظر يابانية

تعليق الدكتور جورج بباوي

ألّف (**نويوأكي نوتوهارا**) أستاذ الأدب العربي في جامعة طوكيو كتاباً بعنوان: «**العرب: وجهة نظر يابانية**» ـ بعد أن جالَ قرابة ٤٠ عاماً في معظم البلاد العربيّة ـ شرح فيه وجهة نظره في مجتمعاتنا. أراد المؤلف أن يخاطب عقل القارئ العربي، لذا كتبه باللغة العربية. أشار إلى **أول اكتشافاته الصادمة** في المجتمع العربي وهو غياب «العدالة الإجتماعية» معتقداً أن **القمع** داء عضال في المجتمع العربي.

إنّ أزمة الإنسان في مجتمعاتنا ليست أزمة إجتماعية مؤقتة بل هي أزمة أنثروبولوجية، كما يقول الميتروبوليت إيرويثوس فلاخوس، الأزمة الكبرى هي الإنسان نفسه. لقد **فقد** الإنسان العلاقة الحقيقية بينه وبين الله. فقدان هذه العلاقة له نتائج سيئة في نظرته لله وللكون ولأخيه في الإنسانية. فالقمع هو: «كل نظرة دونيّة لأي إنسان، وكل تعصب قبلي أو عائلي أو ديني أو قومي أو طائفي أو مذهبي أو سياسي، وكل تزوير وتضليل في كل الميادين الحياتية، وكل نقد تجريبي غير موضوعي، وكل رفض للحوار والتعاون والتنسيق والتوحيد، وكل إستهتار بالأخلاق والحريات والقوانين، الخادمة للإنسان».

نعود إلى أستاذ الأدب العربي في جامعة طوكيو لنفحص وجهة نظره: الإنسان في مجتمعنا ـ كما يقول أستاذ الأدب العربي في جامعة طوكيو ـ مشغول بفكرة النمو الواحد على غرار الحاكم الواحد والقيمة الواحدة والدين الواحد. هنا يركز على غياب التمايز وغياب مفهوم الشخص لحساب مفهوم الفرد. فالإنسان في مجتمعنا ليس شخص له أقنوم خاص وهوية خاصة متفردة، وشخصية مستقلة تصنع علاقة مع الآخرين ولا تذوب في المجموع. الإنسان في مجتمعنا هو مجرد فرد ورقم وواحد في قطيع. ويبرهن (نويوأكي) على هذا الأمر قائلاً:

«إن الناس يحاولون أن يوحّدوا أشكال ملابسهم وبيوتهم وآرائهم. وتحت هذه الظروف تغيب إستقلالية الفرد وخصوصيته واختلافه عن الآخرين، حيث يغيب المواطن الفرد لصالح الجماعة، وهنا يحاول الفرد أن يميز نفسه بـ «**النسب**» كالكنية أو المنصب في مجتمع تغيب عنه العدالة ويسود فيه القمع، فيغيب الوعي والشعور بالمسئولية، ولذلك لا يشعر المواطن العربي بمسئولية تجاه الممتلكات العامة، ولذلك يدمروها الناس إعتقاداً منهم أنهم يدمرون ممتلكات السلطة لا ممتلكاتهم هم. وهكذا تغيب المسئولية تجاه أفراد المجتمع الآخرين».

إن التعليم الذي كرز به المسيح كان ضد أي روابط فاسدة وغير إنسانية في المجتمع. لقد نادى بالتغيير، الذي هو التعديل المستمر نحو بلوغ حياة أفضل على المستوى الشخصي وعلى مستويات المؤسسات والأنظمة لأن جمود الأوضاع لفترات طويلة ضد سرعة الحركة والتطور، الأمر الذي يسبب عقم في الفكر والإبداع والخلق والتي هي سمات الإنسان المخلوق «على صورة الله ومثاله». هكذا المطلوب من المسيحي أن يجاهد ويعمل لكي يواجه المشاكل الإجتماعية حتى يساهم في بناء عالم أفضل من الآن فصاعداً، أي داخل التاريخ.

إن التغيير لا يخص الحالة الروحية للإنسان، ولكن تشمل كل حياة الإنسان بعلاقاتها المتعددة. إن الوصية الجديدة للمحبة والتي نادى بها المسيح تتطلب ليس فقط إنسان جديد بل ومجتمع جديد، فأخلاق المحبة وثقافة «قبول الآخر»، و «ثقافة التسامح» التي علّمها المسيح لها نتائج إجتماعية شاملة تطلب من الإنسان أن يغير الروابط الإجتماعية ويؤسس عالم يسوده العدل، عالم أكثر إنسانية. ومن جهة أخرى، فإن المحبة لا يمكن أن تتصالح مع عادات وروابط وبرامج إجتماعية تعتبر الإنسان شيء أو أداه لكي ترضى أهدافها أو أيدلوجياتها، لقد قاوم المسيح بشدة **الظلم**: «تباعدوا عني يا جميع فاعلي الظلم» (لو١٣:٢٧).

هناك أيضاً سؤال يفرض نفسه : هل أدخل المسيح برنامج معين أو نظام معين لحل المشكلات الاجتماعية؟ لكي نعرف الإجابة على هذا السؤال لابدّ أن ننطلق مما قاله المسيح فى (لو١٢:١٣) عندما سأله أحد أن يقاسمه الميراث مع أخيه، فقال له : «يا إنسان من أقامنى عليكما قاضياً أو مقسماً» وأكمل قائلاً:«انظروا وتحفظوا من الطمع فإنه متى كان لأحد كثير فليست حياته من أمواله» (لو١٢: ١٥).

لا يعنى هذا أن المسيح لا يبالى بالمشاكل الاجتماعية لأنه مما سبق وجدنا كيف أن المسيح أظهر اهتماماً شديداً للفقراء وللعدل الاجتماعى. البداية لفهم موقف يسوع هو ما طلبه المسيح نفسه : «اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره وهذه كلها تزاد لكم» (مت٦:٣٣)، لقد أراد المسيح بهذا الطلب أن يقول أنه أتى إلى هذا العالم لكي يكرز بملكوت الله : «فقال لهم ينبغى أن أبشر المدن الأُخر أيضاً بملكوت الله لأنى لهذا قد أُرسلت» (لو٤:٤٣). إن الشرط المهم لحل المشكلات الاجتماعية لدى المسيح ـ هو التمسك بملكوت الله فى حياة الفرد والمجتمع الإنساني . فالمشكلة الاجتماعية لا تُحل فقط بمتغيرات

خارجية لكن الحل الأساسي والمُرضي لهذه المسألة هو ممكن بالاحتفاظ بملكوت الله فى قلوب الناس. فلو تكوّن هذا التغيير العظيم والثوري فى داخل الإنسان ، ولو انتزعت الكراهية من النفس وحلت محلها المحبة، عندئذ المشاكل الاجتماعية والاقتصادية ستجد لها حلول . وهذا هو مفهوم ما قاله المسيح : «اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره وهذه كلها تُزاد لكم » (لو١٢: ٣١).

لابدّ أن نكرّر على أن موقف المسيح هذا لا يعني أن المسيحي يجب أن يأخذ موقف سلبي تجاه المشاكل الاقتصادية والاجتماعية التى يواجهها الإنسان . على العكس عندما شـدّد المسـيح على « اطلبوا أولاً ملكوت الله » فهو يطلب موقف فعّال من جانب المسيحيين لكي تُحل المشكلة الاجتماعية. وهكذا لو أن أحدًا استلهم وانقاد بروح ملكوت الله لا يمكن إلاّ أن يسأل ويفتش ويبحث دائمًا وبطرق كثيرة مقدمًا الحل الأكثر صحة للمشاكل التى تشغل المجتمع .

إذن وصية المسيح (اطلبوا أولاً ملكوت الله) لا تعني التمني والدعاء فى طلب ملكوت الله ولكن تعني بذل المحاولات العملية والفعّالة فى تحقيق ملكوت الله الذى هو تحرر البشر من الألم والفقر والظلم والقهر والمرض مثلما كان يفعل المسيح على الأرض، إنها رسالة الكنيسة اليوم. فالكنيسة تشجع المؤمن أن يواجه بشجاعة مشاكله الاجتماعية منطلقًا من محبته الحقيقية نحو الله ونحو أخيه الإنسان وبمساندة المنطق (العقل) والعلم والخبرة والمناهج والمؤسسات التى تجاهد لتقود المجتمع ليصبح أكثر إنسانية، فلو كانت مثلاً الرأسمالية تُقسم الناس إلى أقلية أغنياء تُسيطر على أغلبية بائسة (لعازريين جُدد) فهى مرفوضة . وإذا كانت الاشتراكية تساعد على الخمول والكسل والتواكل من الأغلبية منتظرة من الدولة الدعم والنصيب وهم غير فعّالين في المجتمع فهي أيضًا مرفوضة. يجب على الإنسان العربي التخلّص من رواسبه المريضة ، والتمتّع بالحريّة الحقيقيّة التي في المسيح يسوع : «الحقّ الحقّ أقول لكم: إن كل من يفعل الخطيّة هو عبدٌ للخطيّة. والعبد لا يبقى في البيت إلى الأبد ، أما الإبن فيبقى إلى الأبد. فإن حرّركم الإبن فالبحقيقة تكونون أحراراً.» (يو٨: ٣٤-٣٦). ويا للعجب من البشريّة الرافضة لهذا النّور:

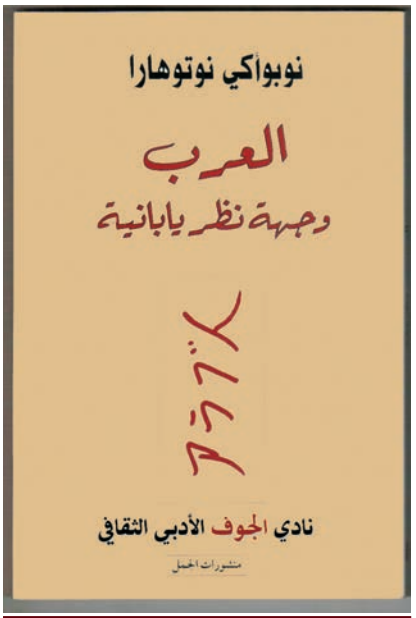

يشخّص هذا الكتاب مرض المجتمع العربي

نور المسيح غير المخلوق «يضيء في الظلمة والظلمة لم تدركه» (يو ١: ٥)

ويلوم شاعرنا المتنبي الأنسان الذي لا يفرّق بين الصالح والطالح وبين النور والظلمة ، فيقول:

وما انتفاع أخي الدنيا بناظره إذا استوت عنده الأنوار والظلم

تابع من ص ١٣

٨). المترجمون

فلما نظر الله صبرهم رحمهم وأرسل لهم رجل فاضل يُدعى الشماس عبدالله بن فاضل، مطران الأنطاكي. وكان عالماً جداً بلغة العربية واليونانية والسريانية. فأخرج للمسيحيين ساير الكتب العتيقة والجديدة المقدسة، مع ساير تفاسيرها، للغة العربية، وأمرهم بقراءتها في ساير السبوت والآحاد والأعياد السيدية، وأخبار القديسين وأفنى كل عمره في هذه الأعمال الصالحة، وأبقى لنا القوانين باليوناني والسرياني **لأنهمَا الأصل**، ولكي لا نترك هذه اللغات المقدسة التي نطقوا بها آبائنا القديسين.ثم بعد هذا الفاضل ظهر لنا الأب الفاضل بولس أسقف صيدا، وفعل كذلك بحسب مقدرته. وظهر أيضاً لوقا الأقريطشي المتعرّب وفعل كذلك. وظهر نيكن المغبوط رئيس دير مار سمعان العجائبي الأنطاكي، وصنّف كتاب الحاوي الذي هو لكل جرح مداوي، وكتابين أُخر دونه. وفعل حسب مقدرته. وظهر جراسيموس البارّ رئيس دير مار سمعان وصنّف لنا الكتاب الشافي في المعنى الكافي. ثم ظهر **القديس أثناسيوس بطرك أورشليم** وصنّف العظة لمنفعة المؤمنين. وبدأت الأمانة وتفاسير الكتب الإلهية تنمو وتزداد جيل بعد جيل. هؤلاء المذكورين فسّروا لنا الأمور الضرورية اللازمة لنا، وأبقوا غيرها لكثرتها. وصنّفوا هم مقالات عظيمة نافعة.وهكذا كنت أنا الفقير، إذا نظرت كتاب رومي غريب يشتمل على منافع روحانية، ليس موجود في لساننا، كنت أجتهد على حسب المقدرة، وأخرج منه ما هو معدوم عندنا. فوجدت كتاب من جملة ذلك عجيب جداً قد جمعه مصنّفه، وهو بائيسيوس الساقزي مطران غزّة، من كتب كثيرة قد تعبوا عليها من كان قبله. وجعله رؤوس رؤوس مفصّلة ودعاه كتاب الرموز. وفيه أخبار ورموز على ما مزمع أن يصير أموراً عجيبة، ومن جملته أخبار موجودة عندنا. فالفقير أخرجت منه ما ليس هو عندنا، وجمعت فيه من كتب كثيرة، وأسميته كتاب النحلة لمكاريوس البطريرك الانطاكي. لأنه كما ان النحلة تطوف على الأزهار الزكية وتجني منها، كذلك طفت على كتب كثيرة وجمعت منها هذا الكتاب. وقد يوجد كتب كثيرة يدعون كتاب النحلة الفلاني، دعيت أنا هذا الكتاب باسمي لمن ينتفع بقراءته ونسخه. فادعوا لنا بالمغفرة، والبركة على مَن يفعل ذلك. آميـــن . ■

الإشادة بأولى الشهيدات
القديسة تقلا
للقديس يوحنا الذهبي الفم

سنكسار القديسة تقلا المعادلة للرسل

القديسة تقلا قديسة مشهورة في بلادنا ، وقد سميت كنائس وأديار مختلفة باسمها ، ومنها دير القديسة تقلا في معلولا في جبال القلمون. وكثيرات من النساء لشيوع قصة حياتها أخذنَ اسم تقلا.

ولدت هذه القديسة في إيقونية ، وترعرعرت وكبُرت. ولجمالها الفريد كَثُرَ طالبو يدها للزواج. وفعلاً قد خُطبَت لأحد الشبان الذي يضاهيها حسباً ونسباً ، لكن لمّا مرَّ الرسول بولس في نواحي إيقونية تعرّفت عليه تقلا وتتلمذت له ، وآمنت بالمسيح عن يده. وحينئذ تركت كل حبّ عالمي ، وتعلّقت بالمسيح عريسها السماوي ، ووحّدت مصيرها مع مصيره. ولمّا علم بذلك أهلها وخصوصاً والدتها ، إذ أن والدها قد توفي وهي صغيرة ، غضبت وبدأت تذيق ابنتها عذابات شتّى.

ولهذا الغرض استجارت بحاكم المدينة ليثني تقلا عن معتقدها المسيحي. فأخذ في تهديدها بشتّى العذابات ، فلم يُفلح. أخيراً أمر بإضرام النار وإحراق جثتها ، لكن ويا للعجب ، فقد هطل المطر وأطفأ النار. فهربت الجموع من شدّة خوفها من هذا الأمر العجيب. عندئذ هربت تقلا ولجأت إلى معلمها الرسول بولس ، والتجأت إليه ، وأخذت تساعده في التبشير والكرازة.

وفي أنطاكية فُتنَ بها أحد الأغنياء فأراد اختطافها ، فهربت منه. فلجأ إلى حاكم المدينة ليعذّبها ، فصدَّته بجرأة وشجاعة. أخيراً حُكمَ عليها بأن تُقَدَّم للوحوش لتأكلها ، وفي هذه المرّة أيضاً أظهر الربّ قدرته فتحوّلت الوحوش الكاسرة إلى وحوش وديعة ، تحترم جسد القديسة وتلاطفها. وعبثاً جرّب الوالي تقديمها للوحوش مرة ثانية وثالثة ، ففي كل مرة كان يحدث التحوّل المذهل عند الوحوش. أخيراً أمر الوالي بأن تُربط إلى ثورين هائجين جداً، ولكن الثورين تركا القديسة ولحقا بالجلاّدين. أخيراً خطرت في بال الوالي بأن يرمي القديسة في حفرة عميقة مليئة بالثعابين السامّة ، وهذه أيضاً احترمتها وبدأت تلاطفها. وكل مرة كانت دهشة الوالي تزداد. فسألها عن سرّ هذه النجاة من الأخطار المحتمة ، فقالت تقلا : «اني عبدة المسيح ابن اللّه الحيّ ، الذي هو وحده الطريق والحقّ والحياة وخلاص النفوس. هو أيضاً نجاة المأسورين وتعزية الحزانى ورجاء اليائسين ، وهو الذي ينقذني من الوحوش ومن الموت. وهو يحفظني لكي لا أعثر فله المجد والكرامة».

حينئذ أعلن الوالي أن تقلا هي حرّة طليقة ، فعادت إلى بولس الرسول تروي له قصتها المثيرة ، فمجّد اللّه معها. ثم تركت إيقونية حيث ما زالت والدتها متشبّثة بالوثنيّة ، وأخذت تبشّر في أنحاء سورية ، وخاصة حسب التقليد ، في أنحاء جبال القلمون التي اتخذتها لها معقلاً ومكاناً للأنطلاق للتبشير. وسكنت في مغارة ، هي ربما دير القديسة تقلا في معلولا ، أو كما تقول رواية أخرى أن الجبل حيث كانت تعيش إنشقّ لمّا لحق بها بعض الأشرار يريدون بها سوءاً ، وهو أيضاً أصل الفجّ الشهير في بلدة معلولا.

وعاشت تقلا تسعين سنة. وكان الناس يتجمّعون حولها ويسمعون إرشاداتها وخصوصاً يسمعون عجائب اللّه معها. ثم رقدت رقاد الأبرار المطمئنين بعد حياة مليئة بالجهاد في سبيل المسيح ، ولا تزال بعض أعضاء جسدها تكرّم في اسبانيا. وقد ورد ذكرها في مواعظ القديسين باسيليوس الكبير ويوحنا الذهبيّ الفم وغريغوريوس النزينزي وإيرونيموس ، مما يؤكد عظيم جهادات هذه القديسة.

كتب القديس إيسيذوروس الفرمي الدمياطي إلى راهبات أحد الأديار ، فقال:

«من بعد يهوديت وسوسنة العفيفة وابنة يفتاح لا يحقّ لأحد أن ينسب الضعف إلى جنس النساء. بالأكثر عندما نرى تقلا ، تلك البطلة المتقدمة بين البطلات من البنات ، البتول الذائعة الصيت في الدنيا كلّها ، عندما نراها حاملة عالياً علم الطهارة والبرارة ، وقد فازت فوزاً باهراً في معارك شديدة على الشهوة الرذيلة ، نوقن أن قلوب النساء يمكنها أن تكون جبّارة».

فهذه القديسة التي من بلادنا استشهدت للمسيح ودُفنت في سلوقية.

عظة القديس يوحنا الذهبيّ الفم

إنّنا حين نقيم في كل سنة تذكار القديسين، تُمثّل أمامنا نعمة الروح القدس صورَهم الكريمة، وتثبّت لنا عظائم أعمالهم، بارزةً في حُلَل فتوّة أبدية بعد أن كان الزمان قد دفنها في مطاوي النسيانَ. فكلُّ امرىء إذ يُقبل فيحضر الاحتفال بذكراهم، يجد في هذه الذكرى جمال أعمالهمَ وهي كأنها مرسومة على لوح فيملأ بصره من مشاهدتها في صورة الذكرى التي تتعلَّق بها تلك الأعمال.أما أنا فأجدُني اليوم أُنعم بصري بهذه الفتاة الطوباوية كأنني واقف قرب صورة تذكارها، مُبرزةً الإكليل الذي ظفرت به، من جهة لانتصارها على لذائذ الدنيا، ومن جهة ثانية لانتصارها

على الأخطار التي هدَّدتها، ومقدِّمةً لسيّد الخليقة كلها بتوليَّتها من جهة واستشهادها من جهة ثانية. لقد كانت إذن تملك إكليل البتولية، والبتولية إذا دقّقنا النظر فيها هي استشهادٌ عنيف قاس يُكابَد قبل الاستشهاد. ذلك لأن اللَّذائذ هُنَّ للجسد بمثابة الجلاّدين القساة المرهوبين أو هنَّ بالأحرى أهوَل من الجلاّدين. فهُنَّ يُثقِّلننا بقيود لم تصنع حديدها يدُ الإنسان فتجرح النفس بنظر العيون وتستخدم الآذان لتوصل إلى قلب رصين الثبات مشعَل الفجور، وتمزّق عقلنا تحت جلدات السياط القاسية، وتعذّبنا بتهجمات تتوالى علينا باتصال لا ينقطع.فحينما نحتّم على عيوننا أن تظلَّ مُطبقةً تلقاء الجمال الجسدي، فاللَّذائذ تقطع ذلك الحاجز. فيسقط أمام الأغاني التي طَرقت نغماتُها الآذان لحدٍّ أنها إذا توجَّهت إلى آذان أُصمَّتْ عن سماع أغاني الفجور إحتالت بإغواء الأفكار والصوَر الداعية إلى السقوط في مدابِّ المنكرات. فإذا انتصرنا إبّان اليقظة على كل حملاتها العنيفة حاربتنا بأخيلة الغوايات أثناء رقادنا. وعلى هذا النمط تشهر علينا حروباً دائمة لا تضع الشمس حداً لبداءتها ولا الليل حدّاً لنهايتها. فإذا علقَت بالشبيبة تجارب اللذّات، وذلك هو احتدام الأتون آخذاً بالهشيم والعُصافة. فالشبيبة تلتهب بسهولة ضمن نار الشهوات ولكن إن كانت تلك اللذائذ أشبه بالزيت في سرعة الالتهاب، فمُجاهدات العفاف تدفعها بأشدّ قوة.

إنّ كل ما ألمعنا إليه من الشؤون جعل بتولية القديسة التي نحتفل اليوم بتذكارها استشهاداً طويل الأمد فكافحت اللذائذ الجسدية كما يكافح الشهيد الوحوش الضارية. وكانت تثبت في حرب الأفكار الرَّذلَة كما يثبت الشهيد أمام ما ينهال عليه من التعاذيب. وتتحمّل هجمات تلك الأفكار وصوَر الخلاعات كما يتحمّل الشهيد ما يقرّعه به جلاّدوه من التبريح. ولكنّها انتصرت على تلك المجاهدات الباطنية المتنوعة التي توقدها الطبيعة كما أن الشهيد تتغلّب النيران المقدسة فيه على نيران الطبيعة عنده.

نعم إن تلك الفتاة قهرت طبيعتَها، تلك الطبيعة التي تقهر سائر الناس وتدهورهم إلى حضيض الشرور، قد حافظت **ثقلا على** طهارة البتولية. فإنَّ والدَيها اللَّذَين لم يعلمَا روابط البتولية المرتبطة بها فتاتُهما ولا عرفا الهدية التي قدَّمها لها بيده سيّدها المسيح من أعالي السماء كأنها عروسٌ له، كانا يُلحّان عليها بأن تقبل الزواج. ولكنها كانت تطنُّ أبداً في أُذنيها كلمات القديس بولس القائل: «المرأة الغير المتزوجة والعذراء تهتم فيمَا للربّ لتكون مقدّسة في الجسد والروح.» (١كور٧:٣٤) ، فرغبتها الأولى كانت في أن تحوز إكليل البتولية، بذلك لا غير كانت مُغراةً ومشغولة الخواطر بتلك النزعات الخصيبة بالبركة فهي كثيرة الاهتمام بالأمور التي تفضّلها الحريّة على كل شاغل يشغلها عن أن تكون مقدَّسة في الجسد وفي الروح. فلم تكن لها علاقة قطُّ بالدنيا ولا رابطُ يحوجها أن ترتبط بضروريات الزواج كأن تحتمل زوجاً مستهتراً في الفجور وأن تكون جماداً تلقاء وساوس الزوج التي لا أساس لها وأن لا تظهر أمام الناس حين الاقتضاء والإفادة وأن تكون يقظَةً متنبّهة لإعداد الطعام وأن تثير الغيرة والحسد بما تتجلَّى به مَن التزيُّن وجمال الحلل وان تُحتقَر قبل أن تكون أُمّاً اعتبارَ أنها لا تملك حقوق الزوجة. وإذ تصير أُمّاً يصير أولادها غرَض انقسام بينها وبين زوجها. أولَدت بنتاً؟ فبمَا أنها لم تلد غلاماً، يعبس الرجل في وجهها كراهيةً واستياءً. أولَدت غلاماً؟ إنه كذلك لغُلام، ولكنّ والده يراه غير جميل. أكلا الولدَين ذو جمال باهر، فجمالهما لا يُستنتج منه غير الزيادة فَي مرائر الهموم. أصارا إلى سنّ الفطام فقد وليَت هذه السنّ هموم تربيتهمَا. فاذا كانا متمتِّعَين بصحة طيّبة خيفَ عليهما من المرض وإذا مرضا خيفَ من موتهما وإن ماتَا خافَ والدهما أن يُحتقرا منذ ذلك الحين كأنهما لم يلدا ولداً قطّ. وإذا لم يموتا فالإهتمامات التي تُبذل لحياتهما هي ذات عناء ثقيل أيضاً. فلا بدّ من التفكير لتدبير النفقات لمَا يلزمهما من التهذيب والتعليم وإعداد اللوازم والنفقات لزواجَهمَا والملابس اللائقة والخَدَم الذين يُخصَّصون لكل منهما. ثم يجب أن يُهتمَّ بالميراث الذي يناله البكر وبالوسائل المسكِّنة لحسد الأصغر سنّاً. «أما المرأة الغير المتزوجة فلا تهتم إلاّ فيمَا للرب لتكون مقدّسة في الجسد وفي الروح.» انني لا أطعن في طبيعة الزواج فهو سنَّةٌ لديمومة السلالة البشرية. ولكني أظهر بالجليّ الواضح هموم هذه الحالة وأفضّل على العناية بالشؤون الجسدية، العناية بالشؤون السماوية مؤثراً على الشيء الحسن ما هو أحسن منه. فالبتول تعلو حتى فوق ذلك الحكم المقضيّ به على المرأة. فقولُه: «إلى بعلك تنقاد أشواقُك وهو يسود عليك.» (تكوين٣:١٦) ، لا يتناول العذارَى لأنهنَّ لم يقبلن الخضوع لزوج. وقول الكتاب أيضاً: «بالألم تلدين البنين.» لا يُطبَّق على التي تحافظ على البتولية. فمن الأكيد أنَّ التي لا تلد هي بمعزل عن القضاء المعاقب بألم الولادة.

إنَّك أيتها البتول سبقت فحصل لك ذوقٌ مقدَّم للخيرات المستقبَلة. سبقت فشاركت في قداسة القيامة الأخيرة كما قال الرب. «إنهم في القيامة لا يزوّجون ولا يتزوّجون» (متى٢٢:٣٠) . فالسقوط من مقام البتولية هو فظيع، بمقدار ما انّ ذلك المقام هو عالٍ مُنيف وعلى هذا القياس يُقال إن البتول التي تستسلم إلى الدَّنَس هي أشدُّ إجراماً من المرأة العاهر. ففرقٌ بين دنس بتول ودنس امرأة بغيّ. وفرقٌ بين سلوك قبيح تسلكه امرأة اعتيادية وسلوك مثلَه تسير عليه إحدى الملكات. وفرقٌ بين اختلاس إناء مبتذَل الاستعمال العالمي واختلاس إناء من المقدّسات. إنه مقدّس كالبتول ورداء أرجوانيّ لا يحقّ إلاّ لسيّد الخليقة وحده أن يلبسه. انه عروس تظلّ أبداً مرتبطة الوحدة بالبتولية. فيا لسعادة تلك الوحدة التي ليس لها سرير عرس إلاّ البتوليَّة. ولأجل هذه الوحدة السرّية غامرت شهيدتنا السعيدة في اقتحام الأخطار الجمَّة التي اعترضَتْها.

لقد كانت سبقت فرأت جمال عروسها ولم تملَّ من النظر إلى ذلك البهاء. فحينما كانت أمُّها تلحُّ عليها أن تقبل الزواج كانت هي توجّه إلى عروسها السماوي هذه الكلمات: «إليك رفعتُ عينيَّ يا ساكن السماوات.» (مزمور ١٢٢:١). فأحد الطامعين من طلاّبها اجتهد ذات يوم في أن يخلبها بالحديث وبيان ما يذوقان من لطائف الحياة الزوجية في مستقبل الأيام ولكنها إذ هي متعلّقة باطناً بالمسيح كانت تقول: «كَلِفَتْ نفسي باتباعك ويمينك عضدتني.»

(مزمور ٦٢) ، والتفَّ من حولها أقاربها يداهنونها لتكون عند إرادتهم ولكنها كانت تستحضر بولس إزاءها وهو يقول لها: «إني خطبتك لعروس واحد لأُقدِّم للمسيح بكراً عفيفة.» (٢كور١١:٢) فكان خدَّامها يتوسَّلون إليها في شأن الزواج وهم يذرفون الدموع لكنها تتمتم بأنشودة الحب إكراماً لعروسها الإلهي: «مَن يفصلنا عن محبة المسيح؟» (رومة ٨:٣٥) ، وحاول الحكّام أن يكسروا شجاعتها بالعقوبات ولكنها ازدرت في باطنها بهم وبعقوباتهم وكانت تهتف قائلة: «إن خوف الرؤساء ليس على العمل الصالح بل على الشرير.» (رومة١٣:٣).

القديسة تقلا أولى الشهيدات ومعادلة الرسل

واعتُزِمَ على أن تُنصَبَ في الساحات العمومية تماثيل لبتوليَّة هذه الشهيدة. فتصوَّروا كم تعرَّضت حينئذ للتجربة المكروهة التي اضطرّت إلى التسليم لها. ولمّا تخلَّصت من القضاء أخذت تفتّش عن الطريق التي سار عليها القديس بولس لتقتفي أثره. وإذ وافق مبتغاها مبتغى عامَّة الشعب أقدمت بجرأة على الذهاب في الطريق التي توصلها إلى حيث كان الرسول. وترصَّد الشيطان الابنة الفتاة. فإذ هي في الطريق هيَّج عليها الشابّ الطالب لها ليتجاسر على مسّ شرفها في ذلك المعتزل، كلصٍّ حقيقيٍّ قاطع طريق. وكانت تلك العذراء الكريمة قد أوشكت أن تصل إلى نهاية طريقها حين أقبل ذلك الطامع فيها، وقد تلهَّبت فيه الشهوة البهيميَّة حتى دفعته إلى اتِّباعها. وهناك في تلك العزلة هتف: لقد انتصرت. تعاظمت المصاعب على الفتاة من كل ناحية. فالعدو شديد الشكيمة والضحية التي أمامه ذات وهن وضعف. فأين لها في ذلك المعتزل القفر ملجأٌ تأمن فيه غدره؟ غير أنَّ البتول في تلك الساعة إلتفتت إلى السماء نحو ذاك الذي يعضد في كل مكان مَن يدعوه ويلتجيء إليه وهتفت والدموع تنسكب من مقلتيها: «أيها الرب إلهي بك اعتصمتُ فخلِّصني.» (مزمور٧:٢).

العذراء هي والدة الإله

للقديس كيرلس الأسكندري

THEOTOKOS

هل سمعتَ بوضوح، إن الله الكلمة سُمِّيَ بتسمية بشرية، بسبب اتحاده بجسد؟ لأنه مَنْ هو هذا الآخر الذي كان يمكنه أن ينزل من السماء؟ إذن، لا تتعثر هنا حين يقول: «الآنَ تَطْلُبُونَ أَنْ تَقْتُلُونِي، وَأَنَا إِنْسَانٌ قَدْ كَلَّمَكُمْ بِالْحَقِّ» (يو٨:٤٠)، بل تقبَّل هذا القول بتقوى، مدركًا التدبير.

لأن من هذه الأقوال يظهر تدبير الاتحاد، فحتى لو أنه مازال يُدعى إنسانًا، فلا ينبغي أن يُسمَّى بدون لاهوته . لأنه مَنْ هو الذي يتجرأ ويدعوه إنسانًا، ثم يقول هذه الأقوال التي قيلت من قبل؟ أقصد مجيئه العتيد من السماء، والدينونة العادلة للجميع، حين يرنم داود المرنم العظيم «لك ينبغي التسبيح يا الله في صهيون وله يُوفى النذر»(مز٦٤:١).اسمع الصلاة:«إليك يأتي كلُّ بشر» (مز٦٤:٢). ماذا يعني هذا، إلاَّ ما تعلَّمناه، أي أن هذا هو ما سيفعله ابن الإنسان؟ لأنه يقول: «وَمَتَى جَاءَ ابْنُ الإِنْسَانِ فِي مَجْدِهِ وَجَمِيعُ الْمَلاَئِكَةِ الْقِدِّيسِينَ مَعَهُ، فَحِينَئِذٍ يَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ. وَيَجْتَمِعُ أَمَامَهُ جَمِيعُ الشُّعُوبِ» (مت٢٥: ٣٠ – ٣١).

أرأيت هذا الذي يقوله داود تجاه الله: «إليك يأتي كلُّ بشر»، فقد قَبِل أن هذا سوف يُتمَّمُ في ابن الإنسان؟ إذن هو بالتالي الله الذي صار إنسانًا حيث أنه وُلِدَ من مريم، الأمر الذي تُظهره لنا الكتب المقدسة بوضوح وبراهين كثيرة.

حقاً انك والدة الإله إيّاكِ نعظّم

على أيَّة حال، بالطبع هي **والدة الإله**، وهي **العذراء الحسنة** حتى ولو لم يُرد هؤلاء. لأنه لو كان يسوع المسيح الذي أتى منها، هو إنسان فقط، فكيف كتب بولس في رسالته إلى أهل غلاطيّة، قائلاً:« بُولُسُ، رَسُولٌ لاَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ بِإِنْسَانٍ، بَلْ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ» (غل١:١)؟ من الواضح إذًا أنه ليس مجرَّد إنسان عادي، بل هو الله الذي صار إنسانًا.

ليت غير المتعلمين لا يعثرون من جرَّاء هذه الأقوال، بل ليتَهُم يتعلَّمون **تدبير السر الإلهي**، وليتَهُم يسجدون مع الملائكة من الآن فصاعدًا للمسيح. لأنه يقول: «وَأَيْضًا مَتَى أَدْخَلَ الْبِكْرَ إِلَى الْعَالَمِ يَقُولُ: وَلْتَسْجُدْ لَهُ كُلُّ مَلاَئِكَةِ اللهِ» (عب١:٦)، و «لِكَيْ تَجْثُوَ بِاسْمِ يَسُوعَ كُلُّ رُكْبَةٍ مِمَّنْ فِي السَّمَاءِ وَمَنْ عَلَى الأَرْضِ وَمَنْ تَحْتَ الأَرْضِ، وَيَعْتَرِفَ كُلُّ لِسَانٍ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ رَبٌّ لِمَجْدِ اللهِ الآبِ» (فيلبي٢:١٠–١١). ليتَهم يتذكرون يسوع المسيح الذي أُعترف به ربًّا، وليتَهم لا يضطربون حين يسمعون أنه يُدعى إنسانًا بحسب التدبير .

العهد القديم في الكتاب المقدّس (٤٥)

الفصل الرابع: يشوع والقضاة

ب - عصر القضاة:

(٥) غزو العمونيين من الشرق (قض١١:٧ ـ ١٢):

العمونيون كالموآبيين كانوا من نسل لوط ، وعندما غزا إسرائيل شرق الأردن تجمعوا في الصحراء الشرقية ، ولكن بسبب الفوضى في زمن القضاة قويت شوكتهم وعادوا يهاجمون الأسباط من الشرق في محاولة لإسترداد ما فقدوه من أرض ، وكان الإسرائيليون قد استهانوا بلطف اللّه معهم وانزلقوا في عبادة البعل والعشتاروت وآلهة أرام وموآب والصيدونيين ، وتأديباً لهم تركهم اللّه يقاسون غزوات العمونيين ١٨ سنة حتى اشتد ساعد العمونيين وعبروا الأردن وغزوا يهوذا وبنيامين وأفرايم ، فالتجأ شيوخ إسرائيل إلى ابن إمرأة زانية كانوا قد طردوه من وسطهم ، ذلك الرجل الجلعادي يفتاح وهو وإن لم يكن شريف الأصل ولم يعطَ نصيباً مع إخوته وعاش شريداً في أرض طوب شرق الأردن خارج حدود إسرائيل (٢صم١٠:٦) ، إلا أنه كان جندياً قديراً جذب حوله جماعة من الرجال الأشداء ، فلجأ إليه الشيوخ واستدعوه من المنفى وجعلوه قائداً ورئيساً على الجيش وفي شجاعة منقطعة النظير هزم العمونيين وطاردهم حتى (عروعير) إلى حافة نهر أرنون إلى أبل الكروم ، واستولى على مراعي العمونيين ، ومع أن يفتاح كان جبّار بأس شديداً في الحرب ، إلا أنه لم يندفع إلى القتال إلا بعد أن استنفد الطرق الدبلوماسية مع أعدائه ، ولكن العمونيين استهانوا به وقصدوا التحدي ، وافتعلوا إثارته لكنه في ضبط شديد للنفس ، أرسل رسلاً محاولاً التوصل لنوال حقوقه دون حرب (قض١١:٢٧) ، ولما فشلت محاولاته السليمة ظهرت براعته في الحرب كمبارز قوي ورجل إيمان قدير (عب ١١:٣٢).

ولا نتعجب حينما نرى أن رجال العهد القديم تنالهم السقطات فإنهم بذلك يظهرون ضعف الطبيعة البشرية وحاجتها إلى المخلص الحقيقي ، ومع أن يفتاح كان رجلاً عاقلاً ومخلصاً للشعب ، إلا أنه سقط في خطأ حينما حارب أهل أفرايم ليثأر من أجل كرامته ، وما أعظم الفرق بينه وبين جدعون الذي استطاع بجوابه اللين أن يصرف غضبهم ، فانزلق يفتاح في حرب مع بني جنسه لا لزوم لها راح ضحيتها ٤٢ ألف من بني أفرايم ، أما السقطة الفادحة والخطأ المرير الذي سقط فيه هو نذره الخاطىء الذي أودى بحياة إبنته الوحيدة وحوّل الأفراح إلى أحزان ، وهي حادثة توضح مدى ما تأثّرت به نفوس الشعب بمعاشرته للكنعانيين الذين كانوا يقدمون الذبائح البشرية فوق المرتفعات.

(٥) غزو الفلسطينيين من الجنوب (قض١٣ ـ ١٦):

كان الفلسطينيون شعباً تجارياً في البحر المتوسط ، واستوطنوا الساحل في جنوب غرب إسرائيل ، وكان لهم أقطاب أمراء مدنهم الخمسة أشدود وغزّة وأشقلون وجت وعقرون (١صم٦:١٧) ، وكانوا رجالاً أشداء يمتلكون مركبات وأسلحة من الحديد في الوقت الذي لم يكن العبرانيون قد عرفوا المعدن الجديد (الحديد) ، وكانت أسلحتهم من النحاس ، وكان الفلسطينيون منافسين للفينيقيين. والفلسطينيون ألدّ أعداء إسرائيل ، ظلوا يهاجمونهم طوال فترة القضاة وإمتدّ عدوانهم إلى زمن الملكيّة حتى كسر داود شوكتهم ، وكانت الأسباط الجنوبية شمعون ودان ويهوذا تعاني لفترة طويلة من خطر الفلسطينيين. وكان إقليم الشفيلة بتلاله المنخفضة وما به من أودية وخوانق ضيّقة تفصل السهول الساحليّة حيث يسكن الفلسطينيون عند مرتفعات يهوذا ، وكان هذا الإقليم مسرحاً لصراع مستمر بين الإسرائيليين والفلسطينيين ، حتى برز شمشون آخر الأبطال الحربيين في سفر القضاة ووُلد نذيراً للربّ ، وكان من سبط دان ، ذلك السبط الذي فشل في أن يستقرّ في نصيب قرعته فاضطر أن يهاجر إلى الشمال ، وقام شمشون من موطنه في التلال الجنوبية الغربية بعدة هجمات خاطفة بمفرده وأغلبها كانت بدون سلاح ، وكان شمشون يستند إلى وعد اللّه له بقوته الجسدية الفائقة بدلاً من قيادة جيش معارك ، وقضى شمشون معظم حياته القصيرة في تعذيب الفلسطينيين ، ولكن حياته الصاخبة التي قضاها في اللهو ومع النساء ، جلبت عليه الأحزان ودفعته لعدّة مآزق ، فالمرأة الأولى جرّته إلى معركة قتل فيها ثلاثين من الفلسطينيين ، ومع المرأة الثانية كمنوا له في غزّة يريدون الفتك به ، ولكن اللّه أنقذه من بين أيديهم ، وقد أذاق الفلسطينيين المرارة ، وقتل منهم ألفاً ثم هاجمهم في وادي سورق الواسع وانتهت مغامراته بسقطته المروعة مع دليلة المرأة الفلسطينية ، فوضعت القيود في يديه ، وقلعت عينيه ، وصار سخرية لأعدائه يدير طاحونة السجن ، وسنحت له الفرصة أن يجدّد عهده ونذره وبتوبة خالصة يستعيد قوّته ، إنه نذير الربّ إلى يوم موته ، وما أكثرها حلاوة تلك الصلاة التي ارتفعت من نفس مُرّة تائبة وقلب مملوء بالإيمان في لحظاته الأخيرة: « يا سيّدي الربّ أذكرني» (قض ١٦:٢٨) ، ما أشبه شمشون وهو يرفع صلاته في ثقة وإيمان في اللحظات الأخيرة من حياته باللص اليمين الذي قال: أذكرني يا ربّ متى جئت في ملكوتك ، إن شمشون هو لص اليمين العهد القديم الذي دخل بين رجال الإيمان (عب١١:٣٢) ، لقد أمسكت يدا اللّه بيدي شمشون وهو يستند على عمودي المعبد ، فسقط معبد **داجون** وقتل آلاف الفلسطينيين ، وإن لم تتحطّم قوّة الفلسطينيين نهائياً لكن إنتصارات شمشون ألهبت قلوب الإسرائيليين بالحماس ومهدت الطريق لأعمال صموئيل وداود الآتيين بعده.

يتبع

حملان وسط الذئاب

للقديس يوحنا الذهبي الفم

«ها أنا أرسلكم كغنم في وسط ذئاب ، فكونوا حكماء كالحيات وبسطاء كالحمام» (مت١٠: ١٦) ، بعد ما طمأن الرب تلاميذه على ضروريات حياتهم في إرساليتهم، وبعد ما سلَّحهم بقوة إجراء المعجزات؛ تكلَّم معهم عمَّا هو عتيدٌ أن يصيبهم، هم ومَن سيأتي بعدهم على مر العصور، وأعدَّهم منذ الابتداء للحرب ضد الشيطان مُسبقاً قبل أن يحدث ذلك بوقت طويل، وبهذا حقَّق لهم عدة فوائد: فأولاً، لقد أدرك التلاميذ قوة عِلمه السابق؛ ثم إنه ثبَّتهم حتى لا يشكَّ أحدٌ أنه بسبب ضعف معلِّمهم أتت عليهم الشرور؛ وثانياً، إنه شدَّدهم حتى لا يُصدموا بهذه الأمور عند حدوثها كما لو كانت غير متوقَّعة وعلى غير ما كانوا يظنون؛ وأخيراً فإنه أعدَّهم حتى لا يضطربوا عندما يسمعون عن الضيقات وعندما يتواجهون مع الصليب، لأنهم كانوا منزعجين حقاً في ذلك الوقت حينما وبَّخهم قائلاً:« لأني قلتُ لكم هذا قد ملأ الحزن قلوبكم. . .وليس أحدٌ منكم يسألني أين تمضي» (يو١٦: ٥-٦)، ولنلاحظ أنه حتى ذلك الحين لم يكن قد قال لهم شيئاً عن نفسه، مثل أنه سيُوثَق ويُقبض عليه ويموت، وذلك حتى لا ينشغل بالهم، بل أعلن لهم فقط في ذلك الوقت ما يتعلَّق بأنفسهم هم.وقد أراد الرب أن يُعلِّم تلاميذه أنهم بصدد مجال جديد للنضال، وأن أسلوب استعدادهم لهذا المجال ليس مألوفاً لديهم. فها هو يرسلهم مجرَّدين وبلا ثوب (إضافي) ولا أحذية ولا عصا ولا كيساً ولا مذوداً،ويأمرهم أن يقبلوا أن يُعالوا ممَّن يقبلهم. وهو لم يُقصر حديثه عند هذا الحد، بل أوضح قوته التي لا يُعبَّر عنها بقوله لهم:

وحينما تمضون هكذا، أظهروا وداعة الحملان رغم أنكم ذاهبون إلى ذئاب، ليس فقط ذاهبون إلى الذئاب بل أيضاً ستعيشون وسطهم. إنه يأمرهم، ليس فقط بوداعة الحملان، بل أيضاً ببساطة الحمام. وكأني به يقول: لأني هكذا سأُظهر قوتي كأعظم ما تكون، حينما تصبح الحملان أفضل من الذئاب حتى وهي وسط الذئاب وتتلقَّى منها آلاف النهشات والذئاب أبعد من أن تلتهمهم؛ بل بالعكس فإن الحملان هي التي ستترك تأثيرها عليها، وهذا أمر أعظم جداً وأكثر عجباً من أن تقتلها. فهي عتيدة أن تغيِّر روحها وأن تقوِّم عقلها، هذا مع كونهم **اثني عشر رسولاً** فقط وسط العالم كله وهو **مليء بالذئاب**.

إذن، فليتنا نخزى نحن الذين نفعل العكس، الذين ننطلق كالذئاب على أعدائنا. ولكن طالما نحن حملان فسوف نَغلب، حتى ولو كان هناك عشرة آلاف ذئب يحومون حولنا، فنحن سنغلبهم بالخير والمحبة. أما إذا جعلنا أنفسنا ذئاباً فسوف نصير على حال أسوأ، لأن معونة راعينا ستتخلَّى عنا، لأن الرب لا يعول الذئاب بلً الحملان. إنه يتركنا ويعتزل لأننا لا نعطيه الفرصة ليُظهر قوته معنا. فإن وضعنا في اعتبارنا أن كل النصرة تأتي من لدنه، فإن أصابنا أي سوء، فحينئذ سيُظهر لطفه معنا بقوة. أما إن كنا نرد على الضربات فإننا نُظهر بذلك أننا نتجاهل نصرته. ولكني أتوسل إليكم أن تسألوا أنفسكم: مَن كان أولئك الذين وُجِّهت إليهم هذه الوصايا الصعبة والشاقة؟ إنهم أولئك الوَجلون الأُمِّيون غير المتعلمين ولا المهذَّبين، خاملو الذكر من كل ناحية، الذين لم يتدربوا قط على شرائع الأمم، الذين لم يتهيَّأوا ليُقدِّموا أنفسهم في المواقف العامة، الصيَّادون والعشَّارون، أُناسٌ ذوو ضعف شديد. لأنه إن كانت هذه الصعوبات كافية لأن تُحبط الأكابر والعظماء، فكم بالأَوْلى تُثني وتُفشل غير المدرَّبين في أي ناحية، وعلى الأخص مَن لم يتمتعوا قط بأيةَ قدرات ذهنية عظيمة؟ ومع ذلك فلم تثنِ هذه الضيقات عزمهم.

وربَّ مَن يقول: «إن ذلك أمر طبيعي جداً، لأنه أعطاهم قوة لتطهير البُرْص وإخراج الشياطين.» ولكني أُجيبه هكذا: إن نفس هذا الأمر كان كافياً ليُحيِّرهم أكثر، لأنه بالرغم من إقامتهم للموتى كان عليهم أن يجوزوا في تلك الشرور المتعبة، عَبْرَ المحاكمات والاضطهادات والحروب التي سيُثيرها الجميع ضدهم، فضلاً عن بغضة العالم لهم بصفة عامة، فكيف تقابلهم كل هذه الفظائع وهم يُجرون كل هذه المعجزات؟ فماذا كانت، إذن، تعزيتهم عوَض هذه الضيقات جميعاً؟ إنها قوة ذاك الذي أرسلهم. لذا فهو يَضع هذه الكلمات أمامهم قبل أي شيء آخر: «ها أنا أُرسلكم». وهذا يكفي لتشجيعكم حتى تأمنوا ولا تخشوا أحداً ممَّن يعتدي عليكم. فهل أنت ترى سلطةً أو امتيازاً أو قوةً غير مقهورة؟ إنه يعني بها، كما يُفهم من كلامه، أن لا تضطربوا حينما آمركم أن تكونوا مثل الحملان والحمام، وأنا أُرسلكم وسط الذئاب، لأني بالحقيقة كنتُ أستطيع أن أفعل العكس، فأجعلكم لا تُقاسون أية أهوال، ولا تتعرضون للذئاب. كنتُ أستطيع أن أجعلكم أقوى جداً من الأسود، ولكن كان من المناسب أن تكونوا هكذا، فإن هذا يُمجِّدكم أيضاً أكثر ويُعلن عن قوتي أكثر. لقد قال الرب هكذا لبولس:«تكفيك نعمتي لأن قوتي في الضعف تُكمَل» (٢كو١٢: ٩)، ولاحظوا الآن أني أنا الذي تسببت في أن تكونوا هكذا، وهو يشير إلى ذلك بقوله: «ها أنا أُرسلكم كغنم». فلا تجزعوا، إذن، لأني أعلم ـ أعلم يقيناً ـ أنه بهذه

الوسيلة أكثر من أي وسيلة أخرى ستكونون غير مقهورين من الجميع.

بعد ذلك فإنْ كان هؤلاء **الرسل** ينسبون شيئاً لذواتهم أو إن كانوا يتصوَّرون أن لا شيء يبدو أنه من عمل النعمة، أو كأنه بحكمتهم سوف يُكلَّلون، لذا قال: «كونوا حُكماءَ كالحيَّات، وبسطاءَ كالحمام». ولكن رُبَّ سائل: هل إن حكمتنا ستُلازمنا عند الأخطار الداهمة؟ لا. بل كيف سيمكننا اقتناء الحكمة أساساً حينما تطغى علينا الأمواج الكثيرة؟ لأنه دَعْ الحَمَل يكون وديعاً دائماً وهو وسط الذئاب الكثيرة جداً، فماذا تُراه يستطيع أن يفعل؟ ودَعْ الحمامة تكون دائماً بسيطة، فماذا تُراها ستنتفع حينما تُصوَّب السهام لتقضي عليها؟

نجيبه: إن هذا في الواقع لا يَصْدُق مطلقاً مع العجماوات، أما معك فسيَصْدُق كثيراً وبلا شك. ولكن دعنا نرى أيَّ نوع من الحكمة يتطلَّبها منا الرب، إنه يقول: «حكمة الحية»، لأنه حتى وإن فَقَدَ هذا الحيوان كل شيء، وإن كان يمكن أن يُقطع كل جسمه، فهذا لا يهمه كثيراً في سبيل أن تُنْقَذ رأسه. فالرب يقول افعلْ أنت أيضاً هكذا. فرِّط في كل شيء عدا الإيمان، فالممتلكات والجسد والحياة ذاتها يمكن أن تخضع لكل هذا. أما الرأس فهي الأساس، وإن حُفظت لك الرأس (أي الإيمان) رغم فقدانك كل شيء، فسوف تسترجع الكلَّ بوفرة، بل وبأعظم جداً مما كانت. وعلى ذلك فهو لم يأمر أن يكون لنا القلب البسيط سليم النية فقط، ولا مجرد الحكمة فقط، بل قد ربط بين الاثنين حتى ما يصيرا معاً فضيلة. فنتخذ لنا حكمة الحيَّة حتى لا نُصاب في أكثر الأمور حيوية لدينا، وكذا تكون لنا بساطة وسلامة قلب الحمامة حتى لا نثأر من فاعلي الشر معنا فلا ننتقم لأنفسنا ممَّن يتآمرون علينا، حيث إن الحكمة لا تكون بذي جدوى إلاَّ إذا أُلحقَت بها البساطة.

والآن لنتساءل: هل هناك ما هو أقسى من هذه الوصايا؟ ألاَ يكفي فقط احتمال الشر؟ إنه يجيب: لا، لأني لا أسمح لكم قط أن تكونوا ساخطين، وهذه هي صفة «**الحمامة**».كما لو ألقى إنسان قصبة في النار ويأمرها ألاَّ تحترق بالنار، بل بالحري أن تنطفئ. ومع ذلك فليتنا لا نضطرب. كلاَّ، لأن هذه الأمور قد حدثت فعلاً، وقد تمَّت فعلاً، وقد أُظهرَت بالحق تماماً، وقد صار الناس حكماء مثل الحيَّات وبسطاء مثل الحمام. وقد تمَّ هذا ليس لأنه قد صارت لهم طبيعة أخرى غير تلك التي لنا، فهُم من نفس طبيعتنا فعلاً. وليت لا يظن أي واحد أن هذه الوصايا غير عملية، لأن الرب يعرف

الحملان تتغلّب على قوّة الذئاب بالمسيح يسوع

طبيعة الأمور أكثر من جميع الآخرين. إنه يعرف أن العنف لا يخمده العنف بل الكياسة. وإن كنتَ تريد أن ترى هذه النتيجة مُنفَّذة فعلاً في أعمال الناس أيضاً، فاقرأ سفر أعمال الرسل وسوف ترى كيف أنه كثيراً ما ثار اليهود ضد هؤلاء الرسل وصرُّوا بأسنانهم عليهم؛ أما هم فإذ كانوا يتشبَّهون بالحمامة فيُجيبون بوداعة لائقة أَذْهَبَتْ عن الغاضبين غضبهم، وأخمدت جنونهم، وكسرت حدَّة اندفاعهم. كما حينما قالوا لهم: «أَمَا أوصيناكم وصية أن لا تُعلِّموا بهذا الاسم» (أع٥:٢٨). ورغم أنهم كانوا قادرين على أن يجروا المزيد من المعجزات إلاَّ أنهم لم يقولوا ولم يفعلوا أي شيء بعنف؛ بل أجابوا عن أنفسهم بكل وداعة قائلين: «إن كان حقاً أمام الله أن نسمع لكم أكثر من الله فاحكموا» (أع٤:١٩). فهلاَّ رأيتَ وداعة الحمامة؟ انظر جيداً إلى حكمة الحيَّة: «لأننا نحن لا يمكننا أن لا نتكلَّم بما رأينا وسمعنا» (أع٤:٢٠). ألاَ ترى كيف يجب أن نكون نحن كاملين في جميع الأمور حتى لا نصغر أمام الخطر فنثور من قبيل الغضب . ■

من أقوال القديس أنطونيوس الكبير

اجعلوا هذا الجسد الذي أنتم لابسونه مجمرة، ترفعون فيها جميع أفكاركم ومشوراتكم الرديئة، وتضعونها أمام الرب، وتطلبون منه أن ينعم عليكم بإتيان ناره غير الهيولية من العلا إليكم، لتحرق كل ما في تلك المجمرة وتطهرها .

أركان السعادة

الركن الرابع ـ الفضيلة:

الفضيلة كما قال برناردين دي سان بيير: «هي مغالبة الإنسان نفسه لإجبارها على صنع الخير للغير من أجل اللّه وحده لا من أجل مكافأة الناس».

الفضيلة والحكمة توأمان لا يفترقان وحبيبان لا ينفكان فلا تنفع الحكمة بدون الفضيلة ولا تكون الفضيلة بدون الحكمة.

الفضيلة تجعل الإنسان محبوباً في المجالس موقراً بين الناس. الفضيلة تجعل الانسان حرّاً قويّ الإرادة سليم النيّة وتبعث فيه روح الاستقامة والاعتدال وعزّة النفس وترفعه عن الدنايا والخسائس وتحبب اليه القناعة وتهبه راحة الضمير إذ تملأه فرحاً حين تنشرح النفس بأعمالها الطيبة وهذه صفات لا غنى للسعادة عنها.

يمكن للانسان أن يكون طبيباً نطاسياً أو مهندساً ماهراً أو محامياً مقتدراً أو كاتباً بليغاً أو خطيباً فصيحاً أو صانعاً حاذقاً ، ولكن بدون الفضيلة لا يمكن أن يكون رجلاً صالحاً فاضلاً.

كل عمل أساسه الفضيلة لا غبار عليه ولا ضرر من ورائه. قصَر العمر وآلام الحياة وصروف الزمن وتقلبات الايام لا تأثير لَها على صاحب الفضيلة الذي يكون ثابتاً لا يتغيّر اذ لا ينظر إ لاّ الى الفضيلة ومجد اللّه.

مهما كان مركز الانسان في الدنيا ومهما كانت مهنته ومهما كان معدماً لا يمنعه ذلك من النظر الى مجد الفضيلة. ومهما كان الانسان فقيراً وكان فاضلاً فكفاه فخراً وشرفاً. فإن الشرف ليس في الثروة ولا في المراكز العليا ولا في الانتساب الى العائلات العريقة في الحسب والنسب ، بل الشرف هو عمل ما يشرّف. إنّ رجلاً صالحاً متواضعاً لهو أفضل بكثير من عالم متكبر وغنيّ شرير.

يكفي الفضيلة شرفاً احترامهًا حتى من أعدائها فان الشرّير نفسه لا يقدر أن يشمخ بأنفه أمامها. هل رأيتم انساناً شريراً لا يودّ أن يتربى أولاده على مبادىء الفضيلة ولا يجتهد أن يواري رذيلته من أمام اعينهم.

الفضيلة كالنار تحول كل شيء الى مثلها وتجعله من جنسها ويشتمّ من صاحبها رائحتها. هي غنى مَن لا غنى له وثروة من أراد الغنى الحقيقي. هي قوّة للضعيف وملجأ للهارب من الشرّ ومعز للحزين والمتألم والمجرب ، ومسلية للسجين ورجاء للمريض في فراشه وقاهر للأحزان وملطّف ومخفف لمصائب الزمان. صاحب الفضيلة سيّد نفسه وأميرها ، ومَن يملك نفسه خيرٌ ممن يفتح مدينة.

الفضيلة تجعل الحياة سعيدة لأنها تملأ القلب بشعور الفرح في كل ظروف الزمان التي هي الماضي والحاضر والمستقبل. فإنّ صاحب الفضيلة يفرح بماضيه عندما يراه صفحة بيضاء وكلما ذكر فعله للخير ومساعدته للمحتاجين امتلأ سروراً. وهو أيضاً مسرور في حاضره بانتصاره وغلباته للشرّ واتمامه الواجبات نحو اللّه والناس. وهو لا ينظر الى مستقبله نظر مرتاب خائف ، بل نظر الرجاء وقلبه المتلىء بالفضيلة يفتح أمامه أبواباً مسرات لا تنتهي حتى ساعة الموت تجده فرحاً مسروراً.

الفضيلة تربي النفس على اجتياز المتاعب الأدبية فإنّ الانسان في ساحة حرب يصاوله فيها ألوف من الاعداء وتتنازعه الشهوات التي لا تحصى وتصادفه مشقّات جمّة وامامه صعوبات عديدة يجب أن يمرّن نفسه للتغلّب عليها وإلاّ سادت عليه وسحقته تحت عجلاتها القاسية ، ولا يتكفّل للدفاع عن الانسان امام هذه القوّات سوى الفضيلة التي تفتح له سبيل الظفر وتلبسه إكليل النصر ، ولا غنى لراغب السعادة عن كبح أهوائه والتسلّط على شهواته والحرب مع أمياله المنحرفة ، فإنّ من لا يقيّد أهواءَه باغلال طوحت به الى الحضيض.

قال اللورد افبري «الذي يُشقي المرء انما هو العالم الذي في صدره وليس العالم الذي يعيش فيه ، ونصلّي ونطلب ألاّ نُقاد الى التجارب وتسعاً وتسعون مرّة من مائة انما نحن القائدون أنفسنا الى مهاويها» وقال أيضاً «اننا نتحرّر من رقّ سوانا وننجو من ظلمهم. أما ربقة أهوائنا فلا تسقط عن أعناقنا ، وعدم الطاعة لأحد خيرٌ من الامرة على كل أحد ، وكذلك تسلطك على نفسك خيرٌ من الحكم على الآخرين والتسلّط عليهم».

وهنا يجب ان نعلم ان الخطية نبع الاحزان الأصلي بما تتركه في الضمير من التوبيخات الصارمة وما يتخلّف منها في النفس من اثرها الدنس وذكرها المؤلم ، وهيهات ان تزول تلك الآثار بل كلما ازداد الانسان اقتراباً الى الصلاح زاد ألمه من ذكرها الرديء. فهي مصدر البلاء والشقاء والاوجاع للنفس والجسد وهي شرّ ما في العالم فانها تذلّ النفس وتعدمها الحيوة وتفسد جوهر الروح وتحطّه الى الحضيض وتترك الانسان وضيعاً دنيئاً لدرجة أن تعدمه ارادته وشجاعته وتضغط على قلبه حتى لا ينهض من

الفصل السابع نشاط الملائكة في الوجود ، وبين الأمم

م. باسيليا تشلينك

رأينا كيف أن المركز الرئيسي لخدمة الملائكة التعبدية ، هو عرش اللّه ، وما الصور التي رأيناها في العالم العلوي من انحناء وسجود امام العرش الإلهيّ ، ومن نيران متّقدة تتصاعد ألسنتها ، ومن جيئة وذَهـــاب للرسل الملائكة ، ومن ترنيمات بروح التعبّد ، إلاّ وتشير في مجموعها عن ملكوت سماوي تحيا فيه الملائكة عاملة مع اللّه ووكيله عنه.

والملائكة تكوّن في السماء دولة ملائكيّة كاملة .... حكومة منظّمة على درجات ، وفي اعلى مستويات هذه الدولة ، هناك الرئاسات الملائكية المرفّعة ، التي مركزها امام العرش ، والتي تقسم إلى تسعة طغمات هذه اسماؤها: كراسي ، او (عورش) ، شاروبيم ، سارافيم ، ارباب ، ، قوّات ، سلاطين ، رئاسات ، رؤساء ملائكة ، ملائكة.

وقد منحت هذه الطغمات الملائكيّة قوّة عظمى وسلطاناً كبيراً لتتميم إرادة الثالوث المحيي ، ومن ضمنها العناية والخدمة لمقاصد اللّه لجنس البشر...

إلاّ أنّ الشيطان بزعامة **لوسيفر** يدّعي كذباً أن الأرض دفعت له وانّه يتمتّع بالسلطان عليها (يقول الشيطان عند تجربة السيّد المسيح): «إليّ قد دُفع وأنا أعطيه لمن أريد» (لوقا ٤:٦). إلاّ أن السيّد المسيح أكدّ «أنّ الشيطان كذّاب من البدء ، وليس فيه الحقّ» (يو٨: ٤٤).

ويعتقد بعض اللاهوتيين بأن الكواكب أيضاً والأجرام السماوية هي ضمن دائرة سلطان الملائكة.

لقد إئتمن اللّه الملائكة ، بأعمال عظمى مجيدة في ملكوته الواسع ، وهذا ينطبق بصفة خاصة على رئاسات الملائكة ، وفي دائرة هذا الملكوت السماوي ، عيّن اللّه أولئك كممثلين عنه .

ومن المحتمل جداً أيضاً بأن هناك صلة وثيقة بين العالم الملائكي ، ونواميس الطبيعة ، أو قوى الطبيعة ، فحين نتأمل الأجرام السماوية في مجرّاتها في السماء ، فإنّنا لابدّ أن نسأل أنفسنا : من الذي يحدّد مسارها ، ويمنع تصادمها أحدها مع الآخر ؟

وحين ندرس طبيعة الأرض ونتأمّل مقدرتها على إنتاج الأشجار والنباتات ، فإنّنا لابدّ أن نسأل أنفسنا ، ما هي القوى الدافعة التي تعطيها هذه المقدرة على أن تعطي زرعاً للزارع ، وطعاماً للجائع ؟

إنّ مثل هذه الأسئلة تلحّ علينا في بعض الأحيان ، ولكن ما أكثر

ما أعظم أعمالك يا رب كلها بحكمة صنعت

التي تحقّقت علمياً ، لا تستطيع من ذاتها أن تخلق شيئاً في الوجود ، فهي تحتاج الى قوى أخرى تتآزّر معها في العمل. إنّ العلم يختص بدراسة نواميس الطبيعة. ولكن لماذا تعمل هذه النواميس؟ وما الذي يدفعها لأن تعمل؟ هذا ما لا يستطيع العلم أن يجيب عليه.

الكتاب المقدّس وحده هو الذي يفسّر لنا هذه الألغاز، لنأخذ مثلاً بركة بيت حسدا ، فمياه البركة لها خاصية شافية . حينما تتحرّك بين الحين والحين ، ولكن الكتاب وحده هو الذي يخبرنا بأن وراء هذه الحركة ووراء هذه القوّة الشافية ، هناك الملاك الذي يحركها. (يوحنا ٥:٤). وأيضاً نجد البراكين ، والمتفجرات من باطن الأرض ، والصواعق من السماء ، قد أحرقت دائرة سدوم وعمورة ، والكتاب المقدس وحده هو الذي يخبرنا بأن وراء الحمم البركانية ، والصواعق النارية ، هناك ملائكة اللّه ... (تكوين ١٩:١٣).

حتى وإن كان الكتاب المقدس لا يذكر على الدوام تدخل الملائكة المباشر في أحداث غير هذه ، أو نظير هذه ، وحتى وإن كنّا نرى بأنّ هذا يرجع الى رعاية اللّه أو الى قضاء اللّه ، إلاّ أنه يتضح لنا من شهادة الكتاب أن اللّه يستخدم ملائكته لإتمام مخططاته ، وأنه يُعينهم عاملين معه ، ويفيض فيهم بمقدرته الإلهيّة العظمى ...

في سفر الرؤيا نقرأ بأن هناك ملاكاً قد كُلِّف بالسيطرة على المياه (رؤيا ١٦:٥) ونقرأ عن ملاك آخر بأنه أعطى السلطان على النّار (رؤيا ١٤:١٨). وفي (رؤيا ٧:١) نقرأ عن أربعة ملائكة عند زوايا الأرض الأربع ، تحمي العالم من الزوابع المهلكة والعواصف المدمرة.

ترى ما هو مفهوم كافة الصور ؟

يتبع في العدد القادم

سقطته ، قال الرسول بولس: «انتم عبيد للذي تطيعونه اما الخطيئة للموت او للطاعة للبر» (رو٦:١٦) ، وقال السيد المسيح : «إن كل من يعمل الخطية هو عبدٌ للخطية» (يو٨:٣٤) ، وايضاً «واجرة الخطية هي موت» (رو٦:٢٣).

ما أفسدَ نظام العالم وشوَّش سلامه ، وجلب للانسان الشقاء إلاّ الخطيّة . قال تراهرن: «ان النجوم اليوم لجميلة مثلما كانت في ايام جنة عدن ، وكذلك الشمس بلمعانها ، والبحر بصفائه ، وما ملأ الدنيا شقاء وخرّب نظامها وقضى على جمالها وسلامها إلاّ الخطايا والرذائل ، فالزور والبهتان والحسد والترف والطمع وحبّ الفخر ، هذه ملأت العالم شوكاً وقتاداً واوجدت الضغائن والتشكيات والحروب والدمار» ذلك لأنّ الانسان سيّد الخليقة ولما فَسد افسد معه كل شيء.

كرازة يوحنا المعمدان بمعمودية التوبة

+ «جاء إلى جميع الكورة المحيطة بالأردن ، يكرز بمعموديّة التوبة لمغفرة الخطايا» (لو٣:٣).

بين همهمات الواقفين المنتظرين دورهم في المعمودية ، انفتحت السماء (لو٣:٢١) وانشقّت ، ونزل الروح القدس على الرب يسوع ، وهو في نهر الأردن ، والأردن يعني النزول. إنه «نزول» نهر اللّه نزول بقوّة. إنه الرب مُخلِّصنا ، وفيه ننال معموديتنا بالماء الحقيقي والماء المخلِّص. والمعمودية هي أيضاً «مغفرة الخطايا» (مر١:٤).

الإيمان بالمسيح هو أعلى غاية للتوبة:

إن ثمار التوبة هي في غايتها العظمى «الإيمان بالمسيح». وبجانبها الحياة الإنجيلية الحقّة، وأعمال البرّ والتقوى على أساس أنها المضادة لحياة الخطية. وأعمال البر هي الثمار اللائقة بالتوبة التي ينبغي على التائب أن يحياها.

والعلامة أوريجانوس ، يعتبر أن التوبة هي إعدادٌ لمعمودية يوحنا. إسمعه يقول: ﴿الصوت الصارخ في البرية، السابق للمسيح، كرز في بريّة النفس التي لم تكن تعرف السلام. ولم يكن في ذلك الزمان فقط ؛ **بل أيضاً الآن**، نور بهيج وملتهب يأتي أولاً ويكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا ، ثم يتبعه النور الحقيقي، مثلما قال يوحنا نفسه: «ينبغي أن ذلك يزيد وأني أنا أنقص» (يو٣:٣٠). فقد جاءت البشارة إلى البريّة وانتشرت إلى كل الكورة المحيطة بالأردن﴾.

أما **القديس يوحنا الذهبي الفم** ، فيرى أن اعداد الطريق هو أن نطلب ثمار التوبة. ففي عظاته على إنجيل القديس متى يقول: ﴿هكذا كتب النبي (أشعياء) أنه سوف يأتي قائلاً: «أعدُّوا طريق الرب ، قوِّموا في القفر سبيلاً لإلهنا» (أشعياء ٤٠:٣). حتى يوحنا نفسه قال حين جاء: «إصنعوا ثماراً تليق بالتوبة» (لو٣:٨) ، والتي توازي «أعدِّوا طريق الرب» (لو٣:٤). انتبهوا ، أنه من خلال كلمات النبي ، ومن خلال بشارته هو نفسه ؛ استُعلن الأمر نفسه. فقد جاء يوحنا صانعاً طريقاً ومُمهِّداً وليس معطياً العطية ـ أي الغفران ـ ولكن مرشداً تلك النفوس التي ينبغي أن تؤمن بإله الكل﴾.

إعداد الطريق لإستقبال المسيح:

أما **القديس كيرلّس الكبير** ، فيُرشد أولاده في طريقهم الروحي قائلاً : ﴿ كان يوحنا آخر الأنبياء ، وقد اختير أيضاً لكي يكون رسولاً. ولأجل هذا ، حيث لم يكن الرب قد أتى ، قال: «أعدُّوا طريق الرب». وما معنى ذلك؟ تعني: استعدُّوا لاستقبال أيّ شيء يريد المسيح أن يصنعه. اسحبوا قلوبكم من ظل الناموس ، استبعدوا الصور الغامضة ، ولا تفكِّروا بانحراف. اصنعوا طُرق اللّه مستقيمة ، لأن كل طريق يؤدّي إلى الخير هو مستقيمٌ وسويٌّ ، ولكن المِعْوَجَّ يؤدي بمن يسيرون فيه إلى الهلاك﴾.

ويصف **العلاَّمة أوريجانوس** الطريق الذي يعدُّه يوحنا المعمدان بأنه في القلب، فيقول: ﴿«أعدُّوا طريق الرب» ، ما هو هذا الطريق الذي ينبغي أن نعدَّه للرب؟ بلا شكَّ أنه ليس طريقاً مادياً. وهل يمكن أن يَعْبُر كلمة اللّه مثل هذه الرحلة ؟ ألا ينبغي أن يُعَدَّ طريق الرب من الداخل؟ ألا ينبغي أن تُبنى الطُرق المستوية والسهلة في قلوبنا ؟ هذا هو الطريق الذي دخل به كلمة اللّه. هذا هو موضع الكلمة : في أماكن القلب الإنساني﴾.

مجيء الخلاص:

ويرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** أنَّ إشعياء النبي يتنبَّأ أن التغيُّر في الطبيعة يشير إلى مجيء الخلاص. اسمعه يقول: ﴿حينما يقول: «كل وادي يمتلىء ، وكل جبل وأكَمَة ينخفض ، والشعاب تصير طرقاً سهلة» ، فإنه يُشير إلى ارتفاع المتضعين واتضاع الواثقين في أنفسهم ، فغلاظة قلب الناموس تغيَّرت إلى يُسر الإيمان. لأنه يقول لا يكون بعد تعب ومشقة ، ولكن نعمة وغفران الخطايا ، مُتحمِّلاً تكلفة الطريق إلى الخلاص. ثم يذكر أسباب هذه الأمور: «يبصر كل بشر خلاص اللّه»، ليس فقط يهود ودخلاء ؛ بل كل الأرض والبحر وكلّ جنس البشر سوف يخلصون. ويقصد بكلمة «الأشياء المُعْوَجّة» كل حياتنا الفاسدة ، العشَّارون والزواني ، اللصوص والسَّحَرة ، وكل من انحرف من قَبل ، كلهم يعودون إلى الطريق الصحيح. مثلما قال الرب يسوع المسيح نفسه: «إنّ العشارين والزواني يسبقونكم إلى ملكوت اللّه» (متى ٢١:٣١)، لأنهم آمنوا﴾.

لا يزال يعمل حتى الآن:

ويُشير العلاَّمة أوريجانوس إلى أنَّ بشارة يوحنا المعمدان في الإعداد لمجيء المسيح ما تزال تعمل حتى الآن ، فيقول: ﴿ إنّي أومن أن سرَّ يوحنا لا يزال يعمل في العالم اليوم. إن كان أحد سيؤمن بالمسيح يسوع ، فإنَّ روح يوحنا وقوّته تأتي أولاً إلى نفسه ، و «تُعدُّ شعباً مستعداً للرب» ، فتجعل طُرُق القلب الخشنة سهلة ، وتُعَدِّل طُرق القلب﴾.

أما البار أُغسطينوس أسقف هيبُّو ، فيصف «خلاص اللّه» بأنّه «مسيح اللّه» ، فيقول: ﴿إنتبه إلى النص: «ويبصر كل بشر خلاص اللّه». ليست هناك أية صعوبة أن يكون المعنى : «ويرى كل بشر مسيح اللّه». على كلٍّ ، لقد رأينا المسيح في الجسد ، وسوف نراه في الجسد حين يأتي مرة أخرى ليدين الأحياء والأموات.

والكتاب المقدس يحوي نصوصاً كثيرة تبيّن أنه «خلاص اللّه» ، خاصّةً كلمات الرجل الشيخ الوقور سمعان ، الذي أخذ الصبي بين يديه وقال: «الآن، تطلق عبدك ، يا سيِّد ، حسب قولك ، بسلام. لأن عينيَّ قد أبصرتا خلاصك» (لو٢:٢٩-٣٠). ■